
دكتور شعبان محمد إسماعيل
الأحاديث القدسية
ومنزلتها في التشريع
دار المريخ
Bibliotheca Alexandrina
0004243


الأحاديث القدسية
ومنزلتها في التشريع



تأليف

الدكتور شعبان محمد إسماعيل

الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر
وجامعة الملك عبد العزيز
بالمدينة المنورة



الرياض - ص.ب: ١٠٧٢٠

طبعة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ الرياض

دار المريخ للنشر

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، المنزل عليه قول الله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى ﴾[1] .

وبعد

فإن الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا ﷺ برسالة هى ختام الرسالات التى بعث الله بها رسله وأنبياءه لهداية البشرية وتحقيق مصالحها فى الدنيا والآخرة ، فكانت هذه الشريعة وافية بحاجات الناس الدينية والدنيوية ، سواء كان فى كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم ، أو سنة الرسول ﷺ ، فإن بيان الرسول ﷺ لحكم شرعى إنما هو من عند الله عز وجل ، فإنه لا ينطق عن الهوى ، ولكنه يتلقى الوحي عن الله عز وجل ، حتى ما كان منه من اجتهاد فإن مرده إلى الله ، لأنه إن كان صوابا فقد أقره الله على ذلك ، وإن كان خطأ فإن الوحى كان ينزل لتصحيح هذا الخطأ فوراً ، فكل من الحالتين من الله عز وجل ، فالقرآن والسنة متلازمان ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

(١) سورة النجم (٣ - ٥) .

الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾[1] .

قال المفسرون : معنى الرد إلى الله تعالى أى إلى القرآن الكريم ، ومعنى الرد إلى رسوله ﷺ هو الرجوع إليه فى حياته ، وإلى سنته بعد مماته .

ولقد بين ﷺ فى كثير من أحاديثه الشريفة إن التمسك بكتاب الله تعالى وبسنته ﷺ هو السبيل الوحيد للوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة . قال ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ » .

وعن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرمه الله » . أخرجه أبو داود والترمذى .

ومرتبة السنة فى الاستدلال وأخذ الأحكام الشرعية تلى مرتبة القرآن الكريم .

قال الإمام الشاطبى : رتبة السنة التأخر عن الكتاب فى الاعتبار والدليل على ذلك أمور ثلاثة :

أحدها : أن الكتاب مقطوع به والسنة مظنونة ، والقطع فيها إنما

---

(١) سورة النساء (٥٩) .

يصح فى الجملة لا فى التفصيل ، بخلاف الكتاب فإنه مقطوع به فى الجملة والتفصيل ، والمقطوع به مقدم على المظنون ، فلزم من ذلك تقديم الكتاب على السنة .

والثانى : أن السنة إما بيان الكتاب أو زيادة على ذلك ، فإن كان بيانا فهو ثان على المبين فى الاعتبار ، إذ يلزم من سقوط المبين سقوط البيان ، ولا يلزم من سقوط البيان سقوط المبين ، وما شأنه هذا فهو أولى فى التقدم ، وإن لم يكن بيانا فلا يعتبر إلا بعد أن لا يوجد فى الكتاب ، وذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب .

والثالث : ما دل على ذلك من الأخبار والآثار ، كحديث معاذ : « بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى – الحديث » .

وعن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى شريح : إذا أتاك أمر فاقض بما فى كتاب الله ، فإن أتاك ما ليس فى كتاب الله فاقض بما سن فيه رسول الله ﷺ ، الخ .

وفى رواية عنه : إذا وجدت شيئا فى كتاب الله فاقض فيه ، ولا تلتفت إلى غيره .

وقد بين معنى هذا فى رواية أخرى أنه قال له : انظر ما تبين لك فى كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً ، وما لم يتبين لك فى كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ .

ومثل هذا عن ابن مسعود : من عَرِضَ له منكم قضاء فليقض بما

فى كتاب الله ، فإن جاءه ما ليس فى كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه ﷺ – الحديث .

وعن ابن عباس أنه كان إذا سئل عن شيء ، فإن كان فى كتاب الله قال به ، وإن لم يكن فى كتاب الله وكان فى سنة رسول الله ﷺ قال به[1] .

والسنه تشمل :

(ا) **السنة القولية** : كقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى . . . » الحديث .

(ب) **السنة الفعلية** : كقوله ﷺ : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وقوله : « خذوا عنى مناسككم » .

(جـ) **السنة التقريرية** : وهى أن يسكت النبى ﷺ عن إنكار قول قيل بين يديه ، أو فى عصره وعلم به ، أو سكت عن فعل فُعِل بين يديه أو فى عصره وعلم به ، فإن ذلك يدل على الجواز ، وذلك كأكل العنب بين يديه ﷺ .

قال ابن القشيرى : وهذا مما لا خلاف فيه[2] .

ومن القسم الأول ، وهو السنة القولية الحديث القدسى ، بل هو فى الدرجة الأولى من السنة القولية حيث إن لفظه ومعناه من عند الله عز وجل ، كما هو رأى الجمهور ، فإذا كانت الأحكام الشرعية تثبت بالسنة القولية ، فمن باب أولى الحديث القدسى منها ، متى ثبتت صحة روايته

(١) الموافقات جـ ٤ ص (٥ – ٦) .

(٢) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٤١ .

ولذلك تمسك الحنفية بأن البسملة ليست آية من الفاتحة بما روى سفيان بن عيينة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

« قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى وإذا قال : الرحمن الرحيم قال مجدنى عبدى أو أثنى على عبدى وإذا قال : مالك يوم الدين قال : فوض إلىَّ عبدى وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذه بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل فيقول عبدى : اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها قال : لعبدى ما سأل [1] .

من أجل ذلك وضعت هذا الكتاب لأبين أن الحديث القدسى تؤخذ منه الأحكام الشرعية متى ثبت صحته ، وأنه من المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، وهو السنة .

وقد اقتضى نظام البحث أن يكون فى قسمين :

القسم الأول : فى منزلة الحديث القدسى فى التشريع .

القسم الثانى : فى الأحاديث القدسية .

وقد سرت فى القسم الثانى على ما يأتى :

أولا : إيراد الأحاديث الصحيحة الواردة فى موضوع واحد ، مدعمة بالأسانيد التى تثبت درجة الحديث .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ ١ ص ٨ ط عبد الرحمن محمد .

ثانيا : شرح الكلمات اللغوية التى تحتاج إلى إيضاح بهامش الصفحات .

ثالثا : **فقه الباب** : أبين فيه المعنى العام الذى ترشد إليه تلك الأحاديث مع الاستدلال على ذلك بما يؤيده من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية .

رابعا : أذكر ما يؤخذ من هذه الأحاديث حتى يستطيع القارئ الوصول إلى ما ترمى إليه أحاديث الباب من أقرب الطرق .

وإنى لأسأل الله تعالى ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

غرة المحرم ١٣٩٨ هـ

شعبان محمد اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عنْه فانتَهُوا ﴾

« صدق الله العظيم »

﴿ أُوتيتُ القُرْآنَ وَمِثْلهُ مَعَهُ ﴾

« حديث شريف »

القسم الأول
منزلة الحديث القدسي في التشريع

القسم الأول

فى منزلة الحديث القدسى فى التشريع

ويشتمل هذا القسم على عدة مباحث :

المبحث الأول : فى مفهوم الوحى وأقسامه .

المبحث الثانى : فى تعريف السنة .

المبحث الثالث : فى تعريف الحديث القدسى .

المبحث الرابع : فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى .

المبحث الخامس : فى الفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى .

المبحث السادس : فى الأدلة على حجية السنة .

المبحث السابع : فى حجية خبر الآحاد .

المبحث الثامن : طعون مردودة .

المبحث التاسع : فى حجية الحديث القدسى .

المبحث الأول

فى معنى الوحى وأقسامه

تعريف الوحى :

الوحى معناه : لغة الإعلام فى خفاء . والوحى أيضا : الكتابة والمكتوب . والبحث والإلهام ، والأمر ، والإيمان والإشارة ، والتصويت شيئا بعد شئ . وقيل أصله التفهيم ، وكل مادللت به من كلام ، أو كتابة أو رسالة ، أو إشارة ، فهو وحى[1]

وأما شرعا فهو الإعلام بالشرع[2]

وقد عرفه الإمام الشيخ محمد عبده بأنه : عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بوساطة أو بغير وساطة[3]

وصور الوحى سبع :

الأولى : المنام .

الثانية : مثل صلصلة الجرس .

الثالثة : النفث فى الروع .

الرابعة : تمثل الملك فى صورة رجل .

---

(١) فتح البارى ١ – ٥ .

(٢) ابن حجر– فتح البارى ١ – ٥ .

(٣) رسالة التوحيد ص ٦٩ .

الخامسة : مجىء الملك فى صورته التى خلقه الله عليها .

السادسة : كلام الله تعالى لرسوله من وراء حجاب ، إما فى اليقظة ، كما فى ليلة الإسراء والمعراج ، أو فى النوم كما فى الحديث الذى رواه الترمذى مرفوعا : « أتانى الليلة ربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة أحسبه فى المنام ، فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟

قلت : لا ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين قدمى فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض ، فقال يا محمد : هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت نعم ، فى الكفارات والدرجات » الحديث .

السابعة : وحى اسرافيل ، على خلاف فيه[1] .

هذه هى الصورة التى ذكرها السهيلى كما فى عمدة القارى ، ويمكن ردها إلى ثلاثة أنواع ، ذكرها العينى فى عمدة القارى[2] :

أحدها : سماع كلام الله القديم من غير واسطة .

ثانيها : وحى بواسطة الملك .

ثالثها : النفث فى الروع كقوله ﷺ : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ».

وقد نقل السيوطى عن الإمام الجوينى تعريفا للوحى باعتبار الموحى

---

(١) عمدة القارى ١/٤٠ .

(٢) المرجع السابق .

به فقال : « قال الجويني : كلام الله المنزل قسمان : قسم قال لجبريل : قل للنبي الذى أنت مرسل إليه إن الله يقول : افعل كذا وكذا ، وأمر بكذا وكذا ، ففهم جبريل ما قاله ربه ، ثم نزل على ذلك النبي ، وقال له ما قاله ربه ، ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الملك لمن يثق به ، قل لفلان يقول لك الملك : اجتهد فى الخدمة ، واجمع جندك للقتال ، فإن قال الرسول يقول الملك : لا تتهاون فى خدمتى ، ولا تترك الجند تتفرق ، وحثهم على المقاتلة ، لا ينسب إلى كذب ، ولا تقصير فى أداء الرسالة .

وقسم آخر قال الله لجبريل : اقرأ على النبى هذا الكتاب ، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير ، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ، ويقول : اقرأه على فلان . فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا[1]» .

ثم قال السيوطى تعقيبا على ذلك : « قلت : القرآن هو القسم الثانى . والقسم الأول هو السنة ، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن . ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى ، لأن جبريل أداه بالمعنى ، ولم تجز القراءة بالمعنى ، لأن جبريل أداه باللفظ ، ولم يبح له إيحاءه بالمعنى ، والسر فى ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والاعجاز به ، ولا يقدر أحد أن يأتى بلفظ يقوم مقامه ، وإن تحت كل حرف منه معانى لا يحاط بها كثرة ، فلا يقدر أحد يأتى بدله بما يشتمل عليه ، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين : قسم يروونه

---

(١) الاتقان ١٢٧/١ ط . المشهد الحسينى .

بلفظه الموحى به ،وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف .

وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجوينى .

وأخرج ابن أبى حاتم ، من طريق عقيل عن الزهرى ، أنه سئل عن الوحى فقال : « الوحى ما يوحى الله إلى نبى من الأنبياء فيثبته فى قلبه ، فيتكلم به ويكتبه ، وهو كلام الله ، ومنه مالا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا ، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه »[١] .

وقال ابن حزم :

« لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه فى الشرائع ، نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفا رسوله ﷺ : « وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى » . فصح لنا بذلك أن الوحى ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ قسمين : أحدهما وحى متلو ، مؤلف تأليفا معجز النظام ، ولا متلو ، لكنه مقروء ، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا . قال الله تعالى : « لتبين للناس ما نزل إليهم » ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثانى كما أوجب طاعة القسم الذى هو القرآن ولا فرق »[٢] .

---

١) المرجع السابق ١٢٨/١ .

٢) الاحكام فى أصول الأحكام ٩٦/١ : ٩٧ .

قال ابن حجر : لابد من بيان الفرق بين الوحى المتلو ، وهو القرآن . والوحى المروى عنه – ﷺ – عن ربه عز وجل وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية وتسمى القدسية ، وهى أكثر من مائة ، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير . قال :

اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام :

أولها وأشرفها القرآن لتميزه عن البقية بإعجازه ، وكونه معجزة باقية على مر الدهور ، محفوظة من التغيير والتبديل ، وبحرمة مسه للمحدث ، وتلاوته للجنب ، وروايته بالمعنى ، وبتعيينه فى الصلاة ، وبتسميته قرآنا ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات ، وبامتناع بيعه ، فى رواية عند أحمد ، وكراهته عندنا وبتسمية الجملة منه آية وسورة .

وغيره من بقية الكتب ، والأحاديث القدسية ، لا يثبت لها شىء من ذلك ، فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر ، وروايته بالمعنى ، ولا يجزىء فى الصلاة ، بل يبطلها ، ولا يسمى قرآنا ، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات ، ولا يمنع بيعه ، ولا يكره اتفاقا ، ولا يسمى بعضه آية ، ولا سورة إتفاقا أيضا .

وثانيها : كتب الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – قبل تغيرها وتبدلها .

وثالثها : بقية الأحاديث القدسية ، وهى ما نقل إلينا آحادا عنه – ﷺ – مع إسناده عن ربه ، فهى من كلامه تعالى ، فتضاف إليه وهو الأغلب ، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء ، لأنه المتكلم بها أولا – وقد

يضاف إلى النبي – ﷺ – لأنه المخبر بها عن الله تعالى ، بخلاف القرآن ، فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى ، فيقال فيه : قال الله تعالى – وفيها قال رسوله الله ﷺ ، فيما يرويه عن ربه .

واختلف فى بقية السنة ، هل كل السنة بوحى أو لا ؟ وآية (وما ينطق عن الهوى)[1] تؤيد الأول ، ومن ثم قال ﷺ : (ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه) ولا تنحصر تلك الأحاديث فى كيفية من كيفيات الوحى ، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم والإلقاء فى الروع : وعلى لسان الملك .

ولروايتها صيغتان :

إحداهما : أن يقول رسول الله – ﷺ – فيما يرويه عن ربه ، وهى عبارة السلف .

وثانيتهما : أن يقول : قال تعالى ، فيما رواه عنه رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – والمعنى واحد . ا هـ[2] .

---

(١) النجم (٣) .

(٢) الأحاديث القدسية طبع المجلس الأعلى ص ٦ : ٧ نقلا عن الحلبى فى حاشية التلويح .

المبحث الثانى

فى تعريف السنة

أولا – السنة فى اللغة :

السنة فى اللغة هى الطريقة المستقيمة ، والسيرة المستمرة ، حسنة كانت أو سيئة،قيل لأنها مأخوذة من قولهم : سن الماء إذا والى صبه .

وفى اللسان[1] : سن عليه الماء صبه وقيل أرسله إرسالا لينا . . . وسن الماء على وجهه أى صبه عليه صبا سهلا.قال الجوهرى : سننت الماء على وجهى أى أرسلته إرسالا من غير تفريق . . وفى حديث بول الإعرابى فى المسجد « فدعا بدلو من ماء فسنه عليه » أى صبه ، والسن الصب فى سهولة .

فشبهت العرب الطريقة المتبعة ، والسيرة المستمرة بالماء المصبوب ، فإنه لتوالى أجزائه على نهج واحد يكون كالشىء الواحد .

ومن هذا المعنى قول خالد بن عتبة الهذلى :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها　　فأول راض سنــــة يسيرهــــا

وبهذا الاطلاق اللغوى جاءت كلمة السنة فى القرآن الكريم . قال تعالى :

« وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين »[2] .

---

(١) لسان العرب ٩٢/١٧ .

(٢) سورة الكهف (٥٥) .

وقال تعالى : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا »[1] .

وقال تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلا »[2] .

وجاءت أيضا فى السنة النبوية بهذا المعنى : قال الشاطبى[3] : روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « من سن سنه حسنه كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا » .

وأخرجه الترمذى وصححه وحسنه عن جرير بن عبد الله .

ومنها أيضا ما رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ؟[4] » .

ثانياً – السنة عند علماء الأصول :

هى ما نقل عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما ليس قرآنا : والقول ، ويسمى عند علماء الأصول بالحديث أو الخبر ، كما أن الإشارة المفهمة والهم المصحوب بالقرائن يلحقان بالفعل .

(١) سورة الإسراء (٧٧) .
(٢) سورة الفتح (٢٣) .
(٣) الاعتصام (١/٢٣١) .
(٤) فتح البارى (١٣/٢٣٥) .

وقال بعض العلماء : يمكن الاقتصار على الأفعال لشمولها الأقوال ، باعتبار أن الأقوال من أفعال اللسان ، وكذلك التقرير لأنه فعل ، كما أن الهم فعل القلب والإشارة المفهمة فعل الجوارح .

وهو فهم يمكن أن يقال ، وإن كان يعارضه أن العرف يفرق عادة بين الأقوال وبين التقريرات والأفعال . ويؤيده قول الله تعالى : «كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون[1] » فقد تخلف القول عن الفعل ، وبهذا اختلفا فى التسمية .

وتعريف علماء الأصول للسنة بذلك التعريف ، لأن موضوع علم الأصول عندهم الدليل ، ومنه السنة التى هى عبارة عن الأقوال التى هى الأحاديث والأفعال والتقريرات التى كانت طريقته فى الدين بالبيان وأمرنا باتباعها . ومن هذا يقول الأصولى : هذا الحكم ثابت بالسنة ، أى دليله السنة لا غيره من الأدلة .

ومثال السنة القولية : التى دعا بها الرسول ﷺ لمستمع العلم وحافظه ومبلغه روى ابن عبد البر[2] بسنده عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه وبلغه غيره ، فرب حامل فقه ليس بفقيه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمور ، ولزوم الجماعة ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم » .

ومثال السنة الفعلية : ما نقل بالتواتر العملى من صلاة الرسول

(١) الصف (٣) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/٣٩) .

وكيفية حجه ، وغير ذلك من العبادات التى واظب عليها ، فأفادت الإيجاب بالفعل الذى نقل إلينا بالتواتر العلمى الذى يفيد العلم الضرورى ، ولا يمنع الأداء بالفعل ورود النقول القولية أيضا فيما فعله ، كقوله عليه الصلاة والسلام « خذوا عنى مناسككم » بل قلما يوجد له عليه الصلاة والسلام فعل ، إلا كان له مع الفعل قول ، كما سأبين ذلك فى مبحث « وسائل البيان » .

ومثال التقرير : إقراره عليه الصلاة والسلام لفعل وقع أمامه — مع شروط فى ذلك الفعل أو الفاعل – ومنه إقراره عليه الصلاة والسلام لاجتهاد الصحابة فى أداء صلاة العصر يوم غزوة بنى قريظة ، إذا قال لهم يومئذ : « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » ففهم جماعة منهم أن النهى على حقيقته ، فلم يصلوا العصر فى وقته ، وفهم جماعة أخرى منهم أن المقصود منه الاسراع وعدم التوانى فى الغزو والهجوم ، فصلوها فى وقتها ، ولما بلغ الرسول ﷺ ما فهمه كل فريق من النهى أقرهما ولم ينكر على أحدهما .

روى البخارى[1] بسنده عن ابن عمر قال : قال النبى ﷺ يوم الأحزاب « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة – فأدرك بعضهم العصر فى الطريق – فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها ، وقال بعضهم بل نصل – لم يرد منا ذلك – فذكر ذلك للنبى ﷺ ، فلم يعنف واحدا منهم[2] » .

(١) فتح البارى (٢٨٦/٧) كما رواه ابن عبد البر بسنده عن ابن عمر فى جامع بيان العلم وفضله (٦٥٢) .

(٢) راجع الآيات البينات لابن قاسم العبادى (١٦٧/٣) .

ثالثاً – السنة فى اصطلاح الفقهاء :

كما أن لعلماء الأصول تعريف خاص للسنة على حسب موضوع علمهم ، كان للفقهاء تعريف خاص بهم على حسب علم الفقه عندهم أيضا .

ولما كان موضوع علم الفقه : الحكم الشرعى ، فقد عرفوا السنة : بما ترجح جانب وجوده على جانب عدمه ترجيحا ليس معه المنع من النقيض ، كسنن الصلاة والوضوء يترجح جانب فعلها بالحث عليها ، وليس فى دليل ترجيح فعلها ما يحرم تركها . أى أن الفاعل لها يثاب على فعلها ، ولا يعاقب على تركها :

فهم إن قالوا : هذا الأمر سنة فإنما يقولون باعتبار أن الفعل له صفة شرعية طلبها الشارع من المكلفين طلبا غير جازم . أى ليس فرضا ، ولا واجبا عند الحنفية ، ولا واجبا عند غيرهم ، كما هو مقرر فى المذاهب .

رابعا – السنة فى اصطلاح المحدثين :

هى كل ما أثر عن النبى ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته وهيأته وصفاته الخلقية والخلقية وشمائله ، وكل ما نسب إلى الرسول ﷺ قبل الرسالة أو بعدها ، سواء أثبتت حكما شرعيا ، أم لم تثبت ، وذلك لأن موضوع علمهم : إثبات كل ما يتصل بالرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو غير ذلك من كل ما نقل عن الرسول ﷺ (١)

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع للأستاذ عباس متولى حمادة وانظر التعريفات للجرجانى ص ١٠٢ .

المبحث الثالث

تعريف الحديث القدسى

القدس بضمتين وإسكان الثانى هو الطهر والأرض المقدسة المطهرة وبيت المقدس منها معروف وتقدس الله وتنزه وهو القدوس - كذا فى المصباح وإنما نسب الأحاديث إلى القدس لإضافة معناها إلى الله تعالى وحده على ما فى التعريفات للحديث القدسى فإن ما أخبر الله به نبيه بالإلهام أو بالمنام فأخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل عليه لأن لفظه منزل أيضا . انتهى .

وقال مولانا على القارى عليه الرحمة ، الحديث القدسى ما يرويه صدر الرواة وبدر الثقات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات عن الله تبارك وتعالى تارة بواسطة جبريل عليه السلام وتارة بالوحى والإلهام والمنام مفوضا إليه التعبير بأى عبارة شاء من أنواع الكلام وهى تغاير القرآن الحميد والفرقان المجيد بأن نزوله لا يكون إلا بواسطة روح الله الأمين ويكون مقيدا باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين ثم يكون نقله متواترا قطعيا فى كل طبقة وعصر وحين[1] .

---

(١) الاتحافات السنية ص ٣٠٢ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

المبحث الرابع

الفرق بين الحديث القدسى والقرآن

قد علمت أن الحديث القدسى لفظه ومعناه من عند الله سبحانه وتعالى ، كما هو الرأى الراجح ، ولما كان القرآن الكريم كذلك لفظه ومعناه من الله عز وجل ، كان لابد من بيان الفرق بينهما حتى يتضح الأمر ولا يشكل على مشتبه ، وإليك بعض هذه الفروق :

الفرق الأول :

القرآن الكريم لا يكون إلا بوحى جلى بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبى ﷺ يقظة فلا شىء من القرآن يوحى إليه بإلهام أو منام ، وأما ما رواه مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه من قوله « بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال أنزل على آنفا سورة فقرأ سورة الكوثر » مما يوهم أن سورة الكوثر نزلت على النبى ﷺ فى المنام فهو فى واقع الأمر ليس كذلك لأن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم بل هى الحالة التى كانت تعتريه عند نزول الملك عليه من شدة الوحى ، ولا يرى الجالس معه سوى مظاهر ذلك عليه من ثقل جسم وتصبب عرق وشبه إغفاءة ونوم . والحديث القدسى يجوز كما علمت أن يوحى بوحى جلى أو بوحى خفى .

الفرق الثانى :

القرآن الكريم معجز للإنس والجن ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[1]﴾ متحد بأقصر سورة منه .

﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين[2]﴾ محفوظ من التغيير والتبديل بحفظ الله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[3]﴾ والحديث القدسى فى جميع ذلك ليس كذلك .

الفرق الثالث :

يتعبد بتلاوته بفهم وبغير فهم فيثاب قارئه على كل حرف منه بعشر حسنات والحديث القدسى ليس كذلك .

الفرق الرابع :

القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى والحديث القدسى ليس كذلك .

الفرق الخامس :

القرآن الكريم يحرم على المحدث مسه ويحرم على الجنب تلاوته ومسه والحديث القدسى ليس كذلك .

---

(١) الإسراء (٨٨) .
(٢) البقرة (٢٣) .
(٣) الحجر (٩) .

الفرق السادس :

القرآن الكريم نقل إلينا بطريق التواتر عن النبي ﷺ أما الحديث القدسى فقد روى آحادا عن النبى ﷺ .

الفرق السابع :

القرآن الكريم يحرم بيعه عند الإمام أحمد رضى الله عنه ويكره عند الإمام الشافعى رضى الله عنه والحديث القدسى ليس كذلك .

الفرق الثامن :

القرآن الكريم يتعين فى الصلاة . ولا تصح للقادر عليه إلا به والحديث القدسى ليس كذلك .

الفرق التاسع :

أن جاحد القرآن يكفر ، بخلاف الحديث القدسى .

الفرق العاشر :

أن القرآن لفظه من الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسى فيجوز أن يكون اللفظ من النبى ﷺ .

الفرق الحادى عشر :

أن القرآن الكريم قد حفظه الله تعالى من التغيير والتبديل ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[1] ﴾ .

---

(١) سورة الحجر (٩) .

الفرق الثانى عشر :

أن القرآن الكريم بعضه يسمى آية وسورة ، والأحاديث القدسية ليس كذلك[1] .

الفرق الثالث عشر :

أن القرآن الكريم يترتب الثواب على تلاوته ، بكل حرف عشر حسنات لقول الرسول ﷺ : « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف[2] » والحديث القدسى ليس كذلك .

---

(١) راجع : الاتحافات السنية ، الفرق بين الحديث والقرآن والحديث النبوى لنوح بن مصطفى مخطوط بدار الكتب مجاميع تيمور . والمنهج الحديث فى علوم الحديث . شرح الأربعين النووية لابن حجر الهيثمى .

(٢) رواه الترمذى .

المبحث الخامس

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوى

يفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوى بأن الحديث القدسي ، لفظه ومعناه كلاهما من الله سبحانه وتعالى على أشهر القولين موحى بهما سواء أوحى إليه بوحى جلى بأن ينزل بهما جبريل عليه السلام على النبى ﷺ يقظة أو بوحى خفى كإلهام أو منام والحديث النبوى لفظه من عند النبى ﷺ ، أما معناه فتارة يكون بوحى جلى بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبى ﷺ يقظه مثل ما رواه البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « سمعت رسول الله ﷺ بوادى العقيق يقول : آتانى الليلة آت من ربى فقال صلى فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة » . وتارة يكون بوحى خفى كالهام ومنام مثل حديث « إن الروح الأمين نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب » وتارة يكون باجتهاد منه لأن اجتهاده منزل منزلة الوحى إذ لا يقر على خطأ مثل حديث البخارى الذى رواه فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « حرق رسول الله ﷺ نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزلت ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله[1] ﴾ » .

وقد اختلف فى الحديث القدسى ، هل لفظه ومعناه من عند الله عز وجل ، أم أن لفظه من عند الرسول ﷺ على رأيين :

---
(١) الحشر (٥) .

الرأى الأول : أنها من كلام الله تعالى وليس للنبى ﷺ إلا حكايتها عن ربه عز وجل . قال العطار : قوله الأحاديث القدسية أو الربانية بناء على أنه أنزل لفظها ويؤيد هذا الرأى أمور منها :

١ – أن هذه الأحاديث أضيفت إلى الله تعالى فقيل فيها قدسية والهية وربانية فلو كان لفظها من عند النبى ﷺ لما كان لها فضل الاختصاص بالإضافة إليه تعالى دون سائر أحاديثه ﷺ .

٢ – ومنها أن هذه الأحاديث اشتملت على ضمائر التكلم الخاصة به تعالى . . مثل أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بالكواكب ، و (يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى) .

٣ – ومنها أن هذه الأحاديث تروى عن الله تعالى فتجاوزا بها الرسول ﷺ فتارة يقول الراوى : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ، وتارة يقول : قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ فلو كان اللفظ من عند النبى ﷺ لانتهى بالرواية إليه كما هو الشأن فى الأحاديث النبوية[١] .

الرأى الثانى : أنها من قوله ولفظه ﷺ كالأحاديث النبوية . قال العطار : وقيل . . هو النازل المعنى والمعبر هو النبى ﷺ وممن قال بهذا القول أبو البقاء فى كلياته وعبارته : القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند الرسول ﷺ ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام .

---

(١) حاشية العطار على الأربعين النووية .

واختار هذا الرأى الطيبى وعبارته قال : القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبى ﷺ .

والحديث القدسى : ما أخبر الله بمعناه بالإلهام أو بالمنام .

فأخبر النبى ﷺ أمته بعبارة نفسه وسائر الأحاديث القدسية لم يضفها إلى الله تعالى ولم يرووها عنه تعالى[1] .

وإذا جرينا على رأى من يقول إن الحديث القدسى لفظه من عند الرسول ﷺ فإن هناك من العلماء من فرق بينهما من حيث الهدف العام فقال :

إن الحديث القدسى معناه يتعلق فى الغالب بالحق سبحانه وتعالى – بتبيين عظمته ، أو بإظهار رحمته ، أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه ، فينزل هذا المعنى على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويترك له التعبير عنه بعبارة يؤلفها من عنده ، على أنها صادرة عن الحق سبحانه ، فينطق – صلى الله عليه وسلم – بها على لسان الله سبحانه وتعالى .

ومثال الأول :

ما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ أنه قال : « قال الله تعالى : الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ، قذفته فى النار » .

---

(١) الحديث والمحدثون ص ١٧ .

ومثال الثانى :

ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : يقول الله – عز وجل : إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها حتى يعملها ، فإن عملها ، فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة . وإن أراد أن يعمل حسنة ، فلم يعملها ، فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها بعشر أمثالها إلى سبعمائة .

ومثال الثالث :

ما رواه مسلم عن أبى ذر – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ – فيما يرويه عن ربه – عز وجل – أنه قال : يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد ، فسألونى فأعطيت كل منهم مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى ، إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر .

أما الحديث النبوى : فإنه يتعلق بما يصلح البلاد والعباد ، بذكر الحلال والحرام ، والحث على الامتثال ، بذكر الوعد والوعيد ، وترك لرسول الله – ﷺ – التعبير عنه ، على أنه صادر عنه ، لا عن الحق سبحانه وتعالى[1] .

وقد قسم الدكتور محمد عبد الله دراز الأحاديث النبوية بحسب ما حوته المعانى إلى قسمين :

---

(١) مصطلح الحديث للشيخ الشهاوى ص ٤١ .

١ – قسم توفيقى استنبطه النبى ﷺ بفهمه من كلام الله ، وبتأمله فى حقائق الكون وهذا القسم ليس من كلام الله قطعا .

٢ – وقسم توقيفى – تلقى الرسول ﷺ مضمونه من الوحى فبلغه للناس بكلامه وهذا القسم وإن كان ما فيه من العلوم منسوبا إلى معلمه وملهمه سبحانه لكن من حيث هو كلام حرى بأن ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الكلام إنما ينسب إلى واضعه وقائله الذى ألفه على نحو خاص ولو كان ما فيه من المعنى قد تواردت عليه الخواطر وتلقاه الآخر عن الأول .

فالحديث النبوى إذاً خارج عن القسمين (التوفيقى والتوقيفى) عنه كونه كلام الله وكذا الحديث القدسى إن قلنا إنه نزل بمعناه فقط وهذا أظهر القولين فيه عندنا ثم قال : لكن يمكن على ضوء القرائن التى ذكرناها إفساح المجال لتأويله لأن المقصود نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه وهذا تأويل شائع فى العربية فانك تقول : حينما تنثر بيتا من الشعر يقول الشاعر كذا وعلى هذه القاعدة حكى الله عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوبا غير أسلوبهم ونسب ذلك إليهم .

فإذا زعمت أنه لو لم يكن فى الحديث القدسى شيء آخر مقدس وراء المعنى لصح أن تسمى بعض الحديث النبوى قدسيا لوجود ذلك المعنى فيه .

فجوابه أننا لما قطعنا فى الحديث القدسى : بنزول معناه لورود النص

الشرعى على نسبته إلى الله بقوله ﷺ قال الله تعالى : (كذا . .) سميناه قدسيا لذلك ، بخلاف الأحاديث النبوية فإنها لما لم يرد فيها مثل هذا النص جاز فى كل واحد منها أن يكون مضمونه معلما بالوحى ، وأن يكون مستنبطا بالاجتهاد والرأى فسمى الكل نبويا وقوفا بالتسمية عند الحد المقطوع به ، ولو كانت لدينا علامة تميز لنا قسم الوحى لسميناه قدسيا كذلك[1] .

قيمة الخلاف العملية : —

وقد بين فضيلة الشيخ دراز بأن هذا الخلاف لا يؤدى إلى نتيجة عملية فسواء علينا — عند العمل بالحديث — أن يكون من هذا القسم ، أو من ذلك ، إذ النبى ﷺ فى تبليغه صادق أمين ، وفى اجتهاده فطن موفق ، وروح القدس يؤيده ، فلا يقره على خطأ ، إن أخطأ فى أمر من الأمور الشرعية ، فكان مرد الأمر فى الحقيقة إلى الوحى فى كلتا الحالتين : إما بالتعلم ابتداء وإما بالإقرار أو النسخ انتهاء ، ولذلك وجب أن نتلقى كل سنة بالقبول لقول الله عز وجل ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[2] ﴾ولقوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم[3] ﴾ .

فالأحاديث القدسية ثروة جليلة عظيمة ، فيها تأديب وتهذيب ، وتوجيه وتعليم ، وقد بلغنا الثابت منها عن رسول الله ﷺ ، وهو الذى

---

(١) راجع . النبأ العظيم للدكتور دراز .
(٢) الحشر (٧) .
(٣) الأحزاب (٣٦) .

يقول فيه القرآن الكريم : ﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى[1] ﴾ .

فالواجب علينا العمل بما صح منها .

وقد دارت محاورة بين أحمد بن المبارك وأستاذه عبد العزيز الدباغ حول الفارق بين الحديث القدسى والقرآن والحديث النبوى نصها :

« قال التلميذ لأستاذه : ما الفرق بين هذه الثلاثة ؟ » – وكان يعنى : القرآن ، والحديث القدسى ، وغير القدسى .

قال الأستاذ (رضى الله عنه) : « الفرق بين هذه الثلاثة ، وإن كانت كلها خرجت من بين شفتيه ﷺ ، وكلها معها أنوار من أنواره ﷺ : إن النور الذى فى القرآن قديم من قديم من ذات الحق سبحانه ، لأن كلامه تعالى قديم – والنور الذى فى الحديث القدسى من روحه ﷺ والنور الذى فى الحديث الذى ليس بقدسى من ذاته ﷺ . فهى أنوار ثلاثة ، اختلفت بالإضافة : فنور القرآن من ذات الحق سبحانه ، ونور الحديث القدسى من روحه ﷺ ، ونور ما ليس بقدسى من ذاته ﷺ .

فقلت (أى التلميذ) : « ما الفرق بين نور الروح ونور الذات ؟ » فقال رضى الله عنه (يعنى أستاذه) : « الذات خلقت من تراب ، ومن التراب خلق جميع العباد ، والروح من الملأ الأعلى ، وهم أعرف الخلق بالحق سبحانه . وكل واحد يحن إلى أصله ، فكان نور الحق متعلقا بالحق

---

(١) النجم (٣ – ٤) .

سبحانه ، ونور الذات متعلقا بالخلق ، فلذا ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق سبحانه وتعالى بتبيين عظمته ، أو بإظهار رحمته ، أو بالتنبيه على سعة ملكه ، وكثرة عطائه . فمن الأول حديث « يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . . . إلى آخره » ومن الثانى حديث « أعددت لعبادى الصالحين . . . » ومن الثالث حديث«يد الله ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سخاء الليل والنهار . . » وهذه من علوم الروح فى الحق سبحانه . وترى الأحاديث التى ليست بقدسية تتكلم عن ما يصلح البلاد والعباد ، بذكر الحلال والحرام ، والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد » .

فقلت : « الحديث القدسى من كلام الله عز وجل أم لا ؟ »

فقال : « ليس هو كلامه ، وإنما هو من كلام النبى ﷺ » .

فقلت : « فلم أضيف للرب سبحانه ، فقيل فيه : « حديث قدسى » . وقيل فيه « فيما يرويه عن ربه » ، إذا كان من كلامه عليه السلام فأى رواية له فيه عن ربه ؟ وكيف تعمل مع هذه الضمائر فى قوله : « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وقوله « أعددت لعبادى الصالحين » . وقوله « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر . . » ؟ فإن هذه الضمائر لا تليق إلا بالله ، فتكون الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى ، وإن لم تكن ألفاظها للإعجاز ، ولا تعبدنا بتلاوتها ؟ » .

فقال رضى الله عنه : « إن الأنوار من الحق سبحانه ، تهب على ذات النبى ﷺ حتى تحصل له مشاهدة خاصة – وإن كان دائما فى المشاهدة – فإن سمع مع الأنوار كلام الحق سبحانه ، أو نزل عليه

ملك ، فذلك هو « القرآن » وإن لم يسمع كلاما ، ولا نزل عليه ملك ، فذلك وقت الحديث القدسى ، فيتكلم عليه الصلاة والسلام ، ولا يتكلم حينئذ إلا فى شأن الربوبية ، بتعظيمها وذكر حقوقها .

« ووجه إضافة هذا الكلام إلى الرب سبحانه ، أنه كان مع هذه المشاهدة التى اختلطت فيها الأمور ، حتى رجع الغيب شهادة ، والباطن ظاهراً ، فأضيف إلى الرب ، وقيل فيه : حديث ربانى : وقيل فيه : « فيما يرويه عن ربه عز وجل » .

« ووجه الضمائر : أن كلامه عليه السلام خرج على حكاية لسان الحال التى شاهدها من ربه عز وجل .

«وأما الحديث الذى ليس بقدسى ، فإنه يخرج مع النور الساكن فى ذاته عليه السلام ، الذى لا يغيب عنها ابداً ، وذلك أنه عز وجل أمد ذاته عليه السلام بأنوار الحق ، كما أمد جرم الشمس بالأنوار المحسوسة ، فالنور لازم للذات الشريفة لزوم نور الشمس لها » .

قال التلميذ لأستاذه : « هذا كلام فى غاية الحس ، ولكن الدليل على أن الحديث القدسى ليس من كلامه عز وجل ؟ » .

قال الأستاذ : « بكشف ؟ » .

قال رضى الله عنه : « بكشف وبغير كشف ، وكل من له عقل ، وأنصت له ، ثم أنصت لغيره ، أدرك الفرق لا محالة . والصحابة (رضى الله عنهم) أعقل الناس ، وما تركوا دينهم الذى كان عليه الآباء إلا بما وضح من كلامه تعالى . ولو لم يكن عند النبى ﷺ إلا ما يشبه

الأحاديث القدسية ، ما آمن من الناس أحد ، ولكن الذى ظلت له الأعناق خاضعة ، هو القرآن العزيز ، الذى هو كلام الرب سبحانه وتعالى » .

قال التلميذ : « ومن أين لهم أنه كلام الرب تعالى ، وإنما كانوا على عبادة الأوثان ، ولم تسبق لهم معرفة بالله عز وجل حتى يعلموا أنه كلامه ، وغاية ما أدركوه أنه كلام خارج عن طوق البشر ، فلعله من عند الملائكة مثلا ؟ » .

قال رضى الله عنه : « كل من استمع القرآن ، وأجرى معانيه على قلبه ، علم علما ضروريا ، أنه كلام الرب سبحانه ، فإن العظمة التى فيه ، والسطوة التى عليه ليست إلا عظمة الربوبية ، وسطوة الألوهية . والعاقل الكيس إذا استمع لكلام السلطان الحادث ، ثم استمع لكلام رعيته ، وجد لكلام السلطان نفسا به يعرف ، حتى أنا لو فرضناه أعمى ، وجاء إلى جماعة يتكلمون ، والسلطان مغمور فيهم ، وهم يتناوبون الكلام ، ليميز كلام السلطان من غيره ، بحيث لا تدخله فى ذلك ريبة . هذا الحادث مع الحادث ، فكيف بالكلام القديم ؟

« وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم من القرآن ربهم عز وجل ، وعرفوا صفاته ، وما يستحقه من ربوبية ، وقام لهم سماع القرآن فى إفادة العلم القطعى به عز وجل ، مقام المعاينة والمشاهدة ، وحتى صار الحق سبحانه عندهم بمنزلة الجليس ، ولا يخفى على أحد جليسه[1] » .

---

(١) الإبريز لابن المبارك ص ٦٦ .

المبحث السادس

فى حجية السنة

أولا : من القرآن الكريم :

لقد تظاهرت آيات القرآن الكريم على الأمر بطاعة الرسول ﷺ ، والاقتداء به فى أقواله وأفعاله ، وبينت أن طاعته ﷺ من طاعة الله عز وجل ومن هذه الآيات قوله تعالى :

١ – ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون[١] ﴾ .

٢ – ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم[٢] ﴾ .

٣ – ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين[٣] ﴾ .

٤ – ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما[٤] ﴾ .

٥ – ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين[٥] ﴾ .

---

(١) آل عمران (١٣٢) .
(٢) آل عمران (٣١) .
(٣) آل عمران (٣٢) .
(٤) سورة النساء (٦٥) .
(٥) سورة النساء (٦٩) .

٦ - ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله[١]﴾ .

٧ - ﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول[٢]﴾ .

قال ميمون بن مهران : الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه فى حياته ، وإلى سنته بعد وفاته .

٨ - ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين[٣]﴾ .

٩ - ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا[٤]﴾ .

١٠ - ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم[٥]﴾ .

١١ - ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا[٦]﴾ .

١٢ - ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون[٧]﴾ .

---

(١) سورة النساء (٨٠) .
(٢) سورة النساء (٥٩) .
(٣) سورة النساء (١٤) .
(٤) سورة المائدة (٩٢) .
(٥) سورة الأنفال (٢٤) .
(٦) سورة النور (٥١) .
(٧) سورة النور (٥٦) .

١٣ - ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم[١]﴾.

١٤ - ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه[٢]﴾.

١٥ - ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا[٣]﴾.

١٦ - ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا[٤]﴾.

١٧ - ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله[٥]﴾.

١٨ - ﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى[٦]﴾.

١٩ - ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[٧]﴾.

من هذه الآيات المتقدمة وغيرها كثير جدا ترى أيها القارئ أن الله

---

(١) سورة النور (٦٣) .
(٢) سورة النور (٦٢) .
(٣) سورة الأحزاب (٣٦) .
(٤) الأحزاب (٢١) .
(٥) الحجرات (١) .
(٦) النجم (٣ - ٤) .
(٧) الحشر (٧) .

سبحانه وتعالى أمر الناس بطاعة رسوله وحثهم على متابعته ، وألزمهم الائتمار بأمره ، والانتهاء عما نهاهم عنه وعلمهم أن طاعة الرسول من طاعة الله ، وأن اتباعه سبب فى محبة الله ، كما حذرهم من مخالفة أمره ، وتوعدهم على عصيانه . وقد فسر الإمام الشافعى رضى الله عنه الحكمة فى قوله تعالى : ﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة[1] ﴾ بأنها السنة .

٢٠ – ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة[2] ﴾ .

٢١ – ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة[3] ﴾ .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه « سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله ﷺ[4] » .

ثانيا : من السنة :

وكما دل القرآن الكريم على حجية السنة النبوية ، ووجوب اتباعها ، فقد دلت السنة أيضا على ذلك ، ومن هذه الأحاديث التى تدل عن أن سنته ﷺ واجبة الاتباع ما يأتى :

---

(١) الأحزاب (٣٤) .
(٢) آل عمران (١٦٤) .
(٣) الجمعة آية (٢) .
(٤) الرسالة (٧٨ – ٧٩) .

١ – عن مالك أنه بلغه أن النبى ﷺ قال « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ » .

٢ – عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : « صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . أخرجه أبو داود والترمذى .

٣ – عن عبد الرحمن بن أبى عوف ، عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله بعقبهم بمثل قراه[1] » .

قال الإمام الخطابى : « أوتيت الكتاب ومثله معه » يحتمل وجهين :

---

(١) الاريكة : السرير فى الحجلة ، وقيل ، هو كل ما اتكىء عليه . والقرى : الضيافة .

أحدهما : أن معناه أنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو .

والثانى : أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى ، وأوتى من البيان مثله أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخص ، ويزيد عليه ويشرح ما فى الكتاب . فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن .

وقوله « يوشك رجل شبعان » الحديث . . يحذر بها القول من مخالفة السنن التى سنها مما ليس له من القرآن ذكر ، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض فإنهم تمثلوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التى قد ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا . وأراد بقوله : « متكىء على أريكته » أنه من أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه[1] ا . هـ .

٥ – وفى حديث العرباض بن سارية مرفوعا : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ[2] » .

٦ – روى الحاكم عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ خطب فى حجة الوداع فقال : إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فاحذروا ، إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه[3] » .

---

(١) تفسير القرطبى ٣٨/١ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) روى مثله الإمام مالك فى الموطأ .

ثالثا الإجماع :

أجمع الصحابة – رضى الله تعالى عنهم – على الاحتجاج بالسنة والعمل بها فكان الواحد منهم إذا عرض له أمر طلب حكمه فى كتاب الله تعالى ، فإن لم يجده طلبه فى السنة ، فإن لم يجده اجتهد فى حدود القرآن والسنة الشريفة .

وقد استفادوا ذلك من بيان الرسول ﷺ حين أقر معاذا – رضى الله عنه – حين بعثه إلى اليمن قال له : « بم تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله[1] .

قال الإمام الشوكانى :

« إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف فى ذلك إلا من لا حظ له فى دين الإسلام[2] » .

وقد فهم الصحابة رجوع جميع ما جاءت به السنة إلى القرآن من قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن والمغيرات

---

(١) أخرجه الترمذى ، وأبو داود ، وأحمد بن حنبل ، والبيهقى والدارقطنى.

(٢) ارشاد الفحول ص ٣٣ .

خلق الله . فقالت أم يعقوب : ما هذا ؟ فقال عبد الله : ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ، وفى كتاب الله. قالت : والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته . فقال : والله لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

وهذه الآية تعتبر أصلا لكل ما جاءت به السنة مما لم يرد له فى القرآن ذكر وعلى هذا الدرب والطريق الواضح سار من جاء بعد الصحابة من أئمة العلم والدين ، روى عن الإمام الشافعى – رحمه الله تعالى – أنه كان جالسا فى المسجد الحرام يحدث الناس فقال : لا تسألونى عن شيء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله ، فقال رجل : فما تقول فى المحرم إذا قتل الزنبور ؟ فقال : لا شيء عليه فقال الرجل : أين هذا من كتاب الله ؟ فقال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا[1] ﴾ ثم ذكر إسنادا إلى سيدنا عمر أنه قال : « للمحرم قتل الزنبور » .

وذكر ابن عبد البر فى كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد : أنه رأى محرما عليه ثيابه ، فقال ائتنى بآية من كتاب الله تنزع ثيابى ، قال : فقرأ عليه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[2] ﴾ .

فثبت بما تقدم أن السنة حجة تثبت بها الأحكام الشرعية ، سواء جاء بها القرآن الكريم مجملة وبينتها السنة ، كما فى تفصيل أحكام الصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج وغير ذلك .

أو كانت مطلقة وقيدتها السنة كما فى بيان المراد من اليد فى قوله

---

(١) الحشر (٧) .

(٢) دفاع عن السنة للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص ١٦ – ١٧ .

تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما[1] ﴾ . وأنها اليد اليمنى ، وأن القطع من الكوع لا من المرفق .

كما ترد السنة مخصصة للعام من القرآن الكريم ، كما فى الحديث الذى بين أن المراد من الظلم فى قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم[2] ﴾ الشرك ، فإن بعض الصحابة رضى الله عنهم فهم منها العموم حتى قال : أينا لم يظلم ؟ فقال النبى ﷺ : « ليس بذاك إنما هو الشرك » .

روى البخارى عن عبد الله رضى الله عنه قال : « لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ قلنا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : ليس كما تقولون . لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، بشرك ، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه « يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم[3] » .

وقد ذكر السيوطى أمثلة كثيرة لتخصيص الكتاب بالسنة فقال : « ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى : (وأحل الله البيع) خص منه البيوع الفاسدة وهى كثيرة بالسنة . وحرم الربا ، خص منه العرايا بالسنة . وآيات المواريث خص منها القاتل والمخالف فى الدين بالسنة ، وآية تحريم الميتة خص منها الجهاد بالسنة . وآية (ثلاثة قروء) خص منها الأمة بالسنة وقوله ماء طهور خص منه المتغير بالسنة وقوله : (والسارق والسارقة فاقطعوا) خص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة[4] » .

---

(١) المائدة (٣٨) .

(٢) الأنعام (٨٢) .

(٣) فتح البارى ٦٥/١ : ٦٦ ، ٢٤٩/٦ .   (٤) الاتقان فى علوم القرآن .

استقلال السنة بالتشريع

وكما تجيء السنة مبينة لآيات القرآن الكريم ، كما سبق ، تأتى كذلك دالة على أمور سكت عنها القرآن الكريم ، كتحريم لحوم الحمر الأهلية ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ، ومخلب من الطير ، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخالتها ، وغير ذلك من الأحكام الثابتة بالسنة المستقلة .

قال الإمام الشوكانى :

اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن فى تحليل الحلال ، وتحريم الحرام ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه » أى أوتيت القرآن وأتيت مثله من السنة التى لم ينطق بها القرآن . ا . هـ[1] .

عن الحسن بن جابر قال : سمعت المقداد بن معد يكرب يقول : حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر ثم قال « يوشك رجل متكىء على أريكته يحدث بحديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله عز وجل » .

عن أشعث بن شعبة المصيص قال حدثنا أرطأة بن المنذر قال سمعت حكيم بن عمير يحدث عن العرباض بن سارية أن النبى ﷺ نزل خيبر

---

(١) إرشاد الفحول ص ٣٣ .

ومعه من معه من أصحابه ، ومكر صاحب خيبر مكراماردا – فأقبل إلى النبى ﷺ فقال يا محمد : إنكم تذبحوا حمرنا وتأكلوا بقرنا وتضربوا نساءنا ، وتدخلوا بيوتنا ، فغضب النبى ﷺ قال يا ابن عوف : « قم فاركب فرسك فنادى فى الناس : ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن ، وأن اجتمعوا إلى الصلاة » فاجتمعوا – فصلى بهم النبى ﷺ ، ثم قام فقال : « يحسب امرء قد شبع وبطن وهو متكىء على أريكته لا يظن أن لله حراما إلا فى القرآن ، وإنى والله قد حرمت ونهيت ووعظت بأشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر ، لا أحل من السباع كل ذى ناب ، ولا الحمر الأهلية ، ولا أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا أكل أموالهم إلا ما طابوا به نفسا ولا ضرب نسائهم إذا أعطوا الذى عليهم ».

عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه قال:قال رسول الله ﷺ « لا ألقين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعنا » .

ولفظ الحميدى : أخبرنا أبو الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطان قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم البغوى قال حدثنا على بن أحمد بن النضر قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهم الانطاكى قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر وأخبرنا الحسن بن أبى بكر قال أخبرنا عبد الله بن إسحاق الخراسانى قال حدثنا أبو على الحسين بن أحمد السراج قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهم الأنطاكى قال حدثنا أبو إسحاق الفزارى عن

مالك بن أنس عن سالم أبى النضر عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه أبى رافع قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول ما أدرى ما هذا ، عندنا كتاب الله ليس هذا فيه » واللفظ لابن الفضل .

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لعل أحدكم أن يأتيه حديث من حديثى وهو متكىء على أريكته فيقول ، دعونا من هذا ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » .

وفى رواية عن جابر أيضا « ألا عسى رجل أن يبلغه عنى حديث وهو متكىء على أريكته فيقول لا أدرى ما هذا ، عليكم بالقرآن . فمن بلغه عنى حديث فكذب به أو كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ما بال أصحاب الحشايا يكذبونى عسى أحدكم يتكىء على فراشه يأكل مما أفاء الله عليه ، فيؤتى يحدث عنى الأحاديث يقول لا أرب لى فيها ، عندنا كتاب الله ما نهاكم عنه فانتهوا ، وما أمركم به فاتبعوه » .

عن مالك بن أنس عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أخبره أن عبد الله بن عباس أخبره قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه :

« إن الله تعالى بعث محمدا وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، وأخشى إن طال بالناس زمان يقول رجل : والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيترك فريضة أنزلها الله ، فإن الرجم فى كتاب الله

تعالى حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت عليه البينة أو كان الحبل أو الاعتراف » .

عن حسان بن عطية قال : « كان جبرائيل ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن » ..

عن الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول : ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله ﷺ كما نحفظ القرآن لأن الله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه[1] » .

قال الشافعي رضي الله عنه :

« وضع الله جل ثناؤه رسوله ﷺ – من دينه وفرضه وكتابه – الموضع الذى أبان (جل ثناؤه) أنه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته ، وحرم من معصيته . وأبان فضيلته بما قرر : من الإيمان برسوله مع الإيمان به .

فقال تبارك وتعالى : (آمنوا بالله ورسوله) وقال تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) فجعل دليل ابتداء الإيمان – الذى ما سواه تبع له – الإيمان بالله ثم برسوله ﷺ . فلو آمن به عبد ولم يؤمن برسوله ﷺ – لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً ، حتى يؤمن برسوله عليه السلام معه » .

وقال الشافعي رحمه الله :

---

(١) أخرج هذه الاثار الحافظ أبو بكر أحمد بن على البغدادى فى كتابه الكفاية فى علم الرواية (٤٠ – ٤٤) .

« وفرض الله تعالى على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله ﷺ ، فقال فى كتابه : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

وقال تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾وقال تعالى : ﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ .

وذكر غيرها من الآيات التى وردت فى معناها . قال : فذكر الله تعالى الكتاب وهو القرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله ﷺ . وهذا يشبه ما قال (والله أعلم) بأن القرآن ذكر واتبعته الحكمة ، وذكر الله عز وجل منته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة . فلم يجز (والله أعلم) أن تعد الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله ﷺ ؛ وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله ، وأن الله افترض طاعة رسول الله ﷺ ، وحتم على الناس اتباع أمره .

فلا يجوز أن يقال لقول : فرض ، إلا لكتاب الله ، ثم سنة رسول الله ﷺ ، مبينة عن الله ما أراد دليلا على خاصة وعامة ، ثم قرن فى الحكمة بكتابه فاتبعها إياه ، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسول الله ﷺ .

ثم ذكر الشافعى رحمه الله الآيات التى وردت فى فرض الله عز وجل طاعة رسول الله ﷺ منها :

قوله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

وأولى الأمر منكم[1] ﴾ فقال بعض أهل العلم : أولى الأمر أمراء سرايا رسول الله ﷺ وهكذا أخبرنا والله أعلم ، وهو يشبه ما قال والله أعلم : أن من كان حول مكة من العرب لم يكن يعرف إماره ، وكانت تأنف أن تعطى بعضها بعضا طاعة الإمارة ، فلما دانت لرسول الله ﷺ بالطاعة ، لم تكن ترى ذلك يصلح لغير رسول الله ﷺ ، فأمروا أن يطيعوا أولى الأمر الذين أمرهم رسول الله ﷺ لا طاعة مطلقة ، بل طاعة يستثنى فيها لهم وعليهم .

قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله ﴾ . يعنى إن اختلفتم فى شىء ، وهذا إن شاء الله كما قال فى أولى الأمر . لأنه يقول : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء ﴾ يعنى والله أعلم هم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعتهم . ﴿ فردوه إلى الله والرسول ﴾ يعنى والله أعلم إلى ما قاله الله والرسول إن عرفتموه ، وإن لم تعرفوه سألتم رسول الله ﷺ عنه إذا وصلتم إليه ، أو من وصل إليه . لأن ذلك الفرض لا منازعة لكم فيه ، لقول الله عز وجل : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم[2] ﴾ ومن تنازع ممن – بعد عن رسول الله ﷺ – رد الأمر إلى قضاء الله ، ثم إلى قضاء رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن فيما تنازعوا فيه قضاء نصا فيهما، ولا فى واحد منهما – ردوه قياسا على أحدهما .

وقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم[3] ﴾ .

---

(١) سورة النساء (٥٩) .

(٢) الأحزاب (٣٦) . (٣) النساء (٩٥) .

قال الشافعى : « نزلت هذه الآية فيما بلغنا – والله أعلم – فى رجل خاصم الزبير رضى الله عنه فى أرض ، فقضى النبى ﷺ بها للزبير رضى الله عنه ، وهذا القضاء سنة من رسول الله ﷺ ، لا حكم منصوص فى القرآن ، وقال عز وجل :﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون[1] ﴾ والآيات بعدها .

فأعلم الله الناس أن دعاءهم إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم ، دعاء إلى حكم الله ، وإذا سلموا لحكم النبى ﷺ ، فإنما سلموا لفرض الله ، وبسط الكلام فيه .

قال الشافعى رضى الله عنه :

«وشهد له – جل ثناؤه – باستمساكه بأمره به ، والهدى فى نفسه وهداية من اتبعه . فقال : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور[2] ﴾ .

وذكر معها غيرها . ثم قال فى شهادته له : إنه يهدى إلى صراط الله – وفيما وصف – من فرض طاعته – ما أقام الله به الحجة على خلقه بالتسليم لحكم رسوله واتباع أمره ، فما سن رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم ، فحكم الله سنته[3] » .

---

(١) النور (٤٨) .

(٢) الشورى (٥٢ – ٥٣) .

(٣) أحكام القرآن للإمام الشافعى ص ٢٧ : ٣١ تصوير بيروت .

المبحث السابع

فى حجية خبر الآحاد[1]

لما كان أكثر الأحاديث القدسية واردة بطريق الآحاد ، كان لابد من الاستدلال على حجية خبر الواحد ، فالجمهور من العلماء على وجوب العمل بخبر الواحد ، وقد قامت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن يحتج بهم إلى يومنا هذا .

أولا : من القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلم نادمين[2] ﴾ .

---

(١) خبر الواحد هو ما عدا المتواتر ، فالحديث ينقسم بحسب طريقه إلى متواتر وآحاد ، والمتواتر قسمان : لفظى ومعنوى . فاللفظى : ما اتفق الجماعة المذكورة عليه فى اللفظ والمعنى . والمعنوى : ما اختلفت روايته فى اللفظ والمعنى ، مع وجود معنى كلى متفق عليه فى روايته .

والخبر الآحاد : هو ما رواه من لم يبلغ حد التواتر ومنه المشهور ويسمى المستفيض – ويسمى أيضا بالشائع عند الإمامية .

وخبر الآحاد ، وهو المقابل للمتواتر ، ينقسم بالنسبة لتوفر شروط القبول فيه وعدمها إلى مقبول ومردود ، وكل منهما أنواع كثيرة .

أنظر تفصيل ذلك فى كتب الأصول ، وفى المعتصر من مصطلحات أهل الأثر للشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ص ١١ وما بعدها .

(٢) الحجرات (٦) .

قال القرطبي :

فى هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلا ، لأنه إنما أمر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق . ومن ثبت فسقه بطل قوله فى الإخبار إجماعا ؛ لأن الخبر أمانة ، والفسق قرينة يبطلها[1] .

وقال تعالى : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون[2] ﴾ .

وجه الدلالة من هذه الآية ·

١ – الفرقة هى الثلاثة من أى نوع . والطائفة : هى الواحد أو الإثنان والمراد بهما فى الآية معناهما المذكور .

٢ – الانذار فى الآية : مراد منه الخبر المخوف مطلقا ، سواء كان فتوى أو رواية لأنه عام ولا مخصص له .

٣ – « لعل » لفظ معناه الترجى : والترجى هو توقع حصول الشيء مع عدم العلم به ، وعدم القدرة على إيجاده ، وهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه عالم بكل شيء وقادر على كل شيء .

وبذلك يكون اللفظ ليس مراداً منه حقيقته . بل المراد به لازم الترجى وهو الطلب .

والمراد من الطلب : الطلب على سبيل الحتم والوجوب ، لأن الحذر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٦١٣٢ ط الشعب .
(٢) التوبة (١٢٢) .

فى الآية معناه خوف العقاب « وخوف العقاب » إنما يتحقق عند وجود المقتضى للعقاب ، والمقتضى للعقاب فى الآية هو ترك الواجب وهو الإنذار .

٤ – الضميران فى قوله : « ليتفقهوا » « ولينذروا » راجعان إلى الطائفة المتفقهة والمنذرة .

ومما تقدم يتبين أن الله تعالى أوجب الحذر وعدم الإقدام على ما يوجب العقاب بقول الطائفة المتفقهة – والطائفة واحد أو إثنان – فكان خبر الواحد واجب القبول ، وهو المدعى[1].

ثانيا : من السنة :

روى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبى ﷺ قال : « نضر الله عبدا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه – ثلاث لا يغل[2] عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم[3] » .

قال الإمام الشافعى :

فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأ يؤديها ،

---

(١) أصول الفقه للشيخ زهير (٣/١٣٩ : ١٤٠) وانظر تفسير القرطبى ص (٣١٢٢) .

(٢) قوله « يغل » بفتح الياء وضمها مع كسر الغين فيهما ، فالأول من الغل وهو الحقد والثانى من الإغلال وهو الخيانة . والمراد أن المؤمن لا يخون فى هذه الثلاثة ولا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئا من ذلك .

(٣) رواه الإمام الشافعى ، والبيهقى فى المدخل ، كما رواه أحمد والترمذى وأبو داود .

والأمرؤ واحد ، دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه ، لأنه إنما يؤدى عنه حلال يؤتى ، وحرام يجتنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة فى دين ودنيا [1] .

وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه كان يرسل أمراءه ، وقضاته وسعاته إلى الآفاق ، وهم آحاد لجمع الصدقات ، وتبليغ أحكام الدين ، وإبرام العهود أو حلها وهذا كله يدل على حجية خبر الواحد .

فقد بعث قيس بن عاصم ، والزبرقان بن بدر ، وابن نويرة إلى عشائرهم لعلمه بصدقهم عندهم .

وقدم عليهم وفد البحرين ، فعرفوا من معه ، فبعث معهم ابن سعيد بن العاص .

وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن ، وأمره أن يقاتل من أطاعه من عصاه ، ويعلمهم ما فرض الله عليهم ، ويأخذ منهم ما وجب عليهم ، لمعرفتهم بمعاذ ، ومكانه منهم وصدقه .

وكل من ولى فقد أمره بأخذ ما أوجب الله على من ولاه عليه .

ولم يكن لأحد عندنا فى أحد ممن قدم عليه من أهل الصدق ، أن يقول : أنت واحد ، وليس لك أن تأخذ منا ما لم نسمع رسول الله يذكر أنه علينا .

ولا أحسبه بعثهم مشهورين فى النواحى التى بعثهم إليها بالصدق : إلا لما وصفت ، من أن تقوم بمثلهم الحجة على من بعثه إليه .

---

(١) الرسالة ص ٤٠١ : ٤٠٣ بتحقيق الشيخ شاكر.

وفى شبيه بهذا المعنى أمراء سرايا رسول الله : فقد بَعَثَ بَعْثَ مؤتة ، فولاه زيد بن حارثة ، وقال : « فإن أصيب فجعفر ، فإن أصيب فابن رواحة ، وبعث ابن أنيس سرية وحده .

وبعث أمراء سراياه ، وكلهم حاكم فيما بعثه فيه ، لأن عليهم أن يدعوا من لم تبلغه الدعوة ، ويقاتلوا من حل قتاله .

وكذلك كل والى بعثة أو صاحب سرية .

ولم يزل يمكنه أن يبعث واليين وثلاثة وأربعة وأكثر .

وبعث فى دهر واحد اثنى عشر رسولا ، إلى إثنى عشر ملكا ، يدعوهم إلى الإسلام – ولم يبعثهم إلا إلى من قد بلغته الدعوة ، وقامت عليه الحجة فيها ، ولم يكتب فيها دلالات لمن بعثهم إليه على أنها كتبه .

وقد تحرى فيهم ما تحرى فى أمرائه : من أن يكونوا معروفين ، فبعث دَحْيَةِ إلى الناحية التى هو فيها معروف .

ولو أن المبعوث إليه جهل الرسول كان عليه طلب علم أن النبى بعثه ، ليستبرىء شكه فى خبر الرسول ، وكان على الرسول الوقوف حتى يستبرئه المبعوث إليه .

ولم تزل كتب رسول الله تنفذ إلى ولاته بالأمر والنهى ، ولم يكن لأحد من ولاته ترك إنفاذ أمره ، ولم يكن ليبعث رسولا إلا صادقا عند من بعثه إليه .

وإذا طلب المبعوث إليه علم صدقه وجده حيث هو .

ولو شك فى كتابه ، بتغيير فى الكتاب ، أو حال تدل على تهمة ،

من غفلة رسول حمل الكتاب – كان عليه أن يطلب علم ما شك فيه ، حتى ينفذ ما ثبت عنده من أمر رسول الله .

وهكذا كانت كتب خلفائه بعده وعمالهم ، وما أجمع المسلمون عليه : من أن يكون الخليفة واحدا ، والقاضى واحدا ، والأمير واحدا ، وكذلك الإمام .

فاستخلفوا أبا بكر ، ثم استخلف أبو بكر عمر ، ثم عمر أهل الشورى ، ليختاروا واحدا ، فاختار عبد الرحمن عثمان بن عفان .

قال : والولاة من القضاة وغيرهم يقضون فتنفذ أحكامهم ، ويقيمون الحدود وينفذ من بعدهم أحكامهم ، وأحكامهم أخبار عنهم[1] .

ثالثا : إجماع الصحابة :

فقد تواتر عن الصحابة – رضى الله تعالى عنهم – فى وقائع كثيرة من العمل بخبر الواحد ، وهذه الوقائع تفيد الإجماع على وجوب العمل بخبر الواحد ، فإنهم كثيرا ما كانوا يتركون آراءاهم إذا نقل لهم خبر عن رسول الله ﷺ فمن ذلك :

١ – روى مالك عن ابن شهاب عن عثمان بن اسحق بن خرشة عن قبيصة بن ذؤيب قال جاءت الجدة إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه تسأله ميراثها ، فقال لها مالك فى كتاب الله شىء ولا علمت لك فى سنة رسول

---

(١) الرسالة للإمام الشافعى ص ٤١٥ : ٤٢٠ .

الله ﷺ شيئا ، فارجعى حتى أسأل الناس ، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس ، فقال أبو بكر هل معك غيرك ، فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذ لها أبو بكر ، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه تسأله ميراثها فقال : مالك فى كتاب الله شىء وما القضاء الذى بلغنا أن رسول الله ﷺ قضى به إلا لغيرك – وما أنا بزائد فى الفرائض ، ولكن هو ذلك السدس فإن اجتمعتا فيه فهو لكما وأيتكما خلت به فهو لها .

٢ – عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال : سمعت بجالة قال لم يكن عمر أخذ من المجوس الجزية حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر .

٣ – عن مالك عن سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب أن الفريعة بنت مالك بن سفيان – وهى أخت أبى سعيد الخدرى – أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها فى خدرة فإن زوجها خرج فى طلب عبيد له أبقوا ، حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه ، فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلى . فإن زوجى لم يتركنى فى منزل يملكه ولا نفقة . فقالت قال رسول الله ﷺ : نعم ، قالت : فخرجت حتى إذا كنت فى الحجرة أو فى المسجد دعانى ، أو أمر بى رسول الله ﷺ فدعيت له ، فقال رسول الله ﷺ كيف قلت ؟ قالت فرددت عليه القصة التى ذكرت من شأن زوجى ، فقال : أمكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ، قالت :

فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا ، فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلى فسألني عن ذلك ، فأخبرته فاتبعه وقضى به .

٤ – عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت إذا سمعت من النبي ﷺ حديثا نفعني الله بما شاء منه ، وإذا حدثني غيري عن النبي ﷺ لم أرض حتى يحلف لي أنه سمعه من النبي ﷺ وحدثني أبو بكر – وصدق أبو بكر – أن النبي ﷺ قال : ما من إنسان يصيب ذنباً فيتوضأ ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله فيهما إلا غفر له .

٥ – عن عبد الله بن حنين أنه قال : قال رجل من أهل العراق لعبد الله بن عمر : إن ابن عباس قال وهو علينا أمير : « من أعطى بدينار مائة دينار فليأخذها » . فقال ابن عمر سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان رسول الله ﷺ يقول على المنبر « الذهب بالذهب ربا إلا مثلا بمثل لا زيادة فيه وما زاد فيه فهو ربا » فقال ابن عمر : فإن كنت في شك فسل أبي سعيد الخدري عن ذلك ، فانطلق فسأل أبا سعيد فقيل لابن عباس ما قال ابن عمر وأبو سعيد فاستغفر ابن عباس الله ، وقال : هذا رأى رأيته .

٦ – عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يكرى المزارع ، فحدث أن رافع بن خديج يأثر عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن ذلك ، قال نافع فخرج إليه وأنا معه فسأله فقال رافع نهى رسول الله ﷺ عن كراء المزارع ، فترك عبد الله كراءها .

٧ – قال الشافعي:وأهل قباء أهل سابقة من الأنصار وفقه ، وقد كانوا على قبلة فرض الله عليهم استقبالها ، ولم يكن لهم أن يدعوا فرض

الله تعالى فى القبلة إلا بما تقوم عليهم به الحجة ، ولم يلقوا رسول الله ﷺ ، ولم يسمعوا ما أنزل الله عز وجل عليه فى تحويل القبلة ، فيكونوا مستقبلين بكتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ سماعا من رسول الله ﷺ ولا بخبر عامة ، وانتقلوا بخبر واحد ، إذ كان عندهم من أهل الصدق عن فرض كان عليهم ، فتركوه إلى ما أخبرهم عن النبى ﷺ أنه أحدث عليهم من تحويل القبلة .

قال الشافعى رحمه الله : « ولم يكونوا ليفعلوه » إن شاء الله تعالى بخبر واحد ، إلا من علم بأن الحجة تثبت بمثله إذا كان من أهل الصدق ، ولا ليحدثوا أيضا مثل هذا العظيم فى دينهم إلا عن علم بأن لهم إحداثه ، ولا يدعون أن يخبروا رسول الله ﷺ بما صنعوا منه ، ولو كان ما قبلوا من خبر الواحد عن رسول الله ﷺ فى تحويل القبلة ، وهو فرض مما لا يجوز ، لقال لهم إن شاء الله تعالى ، قد كنتم على قبلة ولم يكن لكم تركها إلا بعد علم تقوم به عليكم حجة من سماعكم منى ، أو خبر عامة ، أو أكثر من خبر واحد عنى ، وقال الشافعى : وبعث رسول الله ﷺ أبا بكر والياً على الحج فى سنة تسع ، وحضر الحج من أهل بلدان مختلفين ، وشعوب متفرقة ، فأقام لهم مناسكهم وأخبرهم عن رسول الله ﷺ بما لهم وما عليهم ، وبعث على بن أبى طالب فى تلك السنة ، فقرأ عليهم فى مجمعهم يوم النحر آيات من سورة براءة ، ونبذ إلى قوم على سواء ، وجعل لقوم مدداً ، ونهاهم عن أمور فكان أبو بكر وعلى معروفين عند أهل مكة بالفضل والدين والصدق ، وكان من جهلها أو أحدهما من الحاج ، وجد من يخبره عن صدقهما وفضلهما ، ولم

يكن رسول ﷺ ليبعث واحداً إلا والحجة قائمة بخبره على من بعثه إليه إن شاء الله تعالى » .

قال الشافعي : « وفرق النبي ﷺ عمالا على نواحي عرفنا أسماءهم والمواضع التي فرقهم عليها . فبعث قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وابن نويرة إلى عشائرهم لعلمه بصدقهم عندهم[1] » .

(١) أخرج هذه الآثار الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي في كتابه « الكفاية في علم الرواية » ص ٦٦ ٧٢

المبحث الثامن

طعون مردودة

ظهرت جماعات مارقة عن الدين تنكر حجية السنة ، إما جملة وتفصيلا ، وإما بإنكار ما جاءت به زائدا عن القرآن الكريم ، وخاصة السنة التى ثبتت بطريق الآحاد .

وهذه هى أهم مزاعمهم الباطلة والرد عليها[1] :

المنكرون للسنة جملة وتفصيلا

يقول هؤلاء المبطلون إننا لا نأخذ إلا بما صرح به القرآن الكريم ، وندع ما عداه ، والقصد بذلك هو ترك العمل بالسنة الشريفة ، وأهم الشبه التى تمسكوا بها هى :

١ – ما فهموه من قوله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء[2] ﴾ .

وقوله : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء[3] ﴾ .

قالوا : « إن الكتاب حوى علم كل شىء ، وفيه تبيان لكل شىء بمقتضى هاتان الآيتان » .

---

(١) قد استعنا فى هذه الردود بما كتبه فضيلة الدكتور/محمد محمد أبو زهره فى كتابه دفاع عن السنة .

(٢) النحل (٨٩) .

(٣) الأنعام (٣٨) .

والجواب عن ذلك :

من أن المراد من قوله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب . . .الخ ﴾ .

هو أن القرآن بيان لأمور الدين إما بطريق النص وإما بطريق الإحالة على السنة ، وإلا لتناقضت هذه الآية مع قول تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم[1] ﴾ .

وهذا المعنى بعينه هو المراد من قوله تعالى : ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾. وقد أمر القرآن بامتثال ما جاءنا عن الرسول ﷺ من أمر أو نهى - قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[2] ﴾ .

٢ – قالوا : لو كانت السنة حجة لأمر النبى ﷺ بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن ، لكنه لم يأمر بذلك بل نهى عن كتابة السنة وأمر بمحو ما كتب منها . وذلك لأنها ليست بحجة فى الدين ، وقد استندوا فى ذلك إلى حديث أبى سعيد الخدرى عن مسلم أن النبى ﷺ قال : « لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ، من كذب على **متعمداً** فليتبوأ مقعده من النار » .

والجواب على ذلك أن نقول :

نعم ثبت نهيه ﷺ عن كتابة الحديث أول الأمر خوف التباسه بالقرآن الكريم ولا سيما وقد كان القرآن ينزل منجما آية آية وسورة سورة .

---

(١) النحل (٤٤) .

(٢) الحشر (٧) .

فمن الجائز جدا أن يلتبس الأمر على كثير من الناس ، فيضعوا الحديث موضع الآية ، وفى هذا خطر عظيم ، لا سيما إذا علمت أن الكتابة فى هذا الوقت كانت على قطع متفرقة من الجلد والحجارة والعظام وما أشبه ذلك .

كما أن نهيه ﷺ عن كتابة الحديث كان للمحافظة على ملكات الصحابة فى الحفظ فقد كانوا يعولون عليه دون الكتابة فلو أنهم كتبوا لضاعت ملكاتهم .

أضف إلى هذا أن الكتابة لم تكن شائعة فيهم ولم يكونوا قد أتقنوها حتى تحل محل الحفظ ، وما كان من الكتابة عندهم ففى أفراد قلائل انحصرت جهودهم فى كتابة القرآن والرسائل النبوية إلى الملوك وغيرهم .

فلو أنهم كلفوا مع ذلك كتابة السنن لوقع الناس فى حرج عظيم .

على أنه قد جاء الإذن منه ﷺ بالكتابة وأباحها فقال : « اكتبوا لأبى شاه » يعنى خطبته يوم فتح مكة ، كما أذن لعبد الله بن عمرو بن العاص فى كتابة الحديث .

هذا وقد وفق العلماء بين نهيه ﷺ عن الكتابة وإذنه فيها بأمور كثيرة منها :

(أ) أن النهى كان خاصا بوقت نزول القرآن خشية التباسه بالحديث .

(ب) والإذن بالكتابة كان فى غير ذلك الوقت – أو لغير ذلك من الدواعى مما سبقت الإشارة إليه .

والذى نستظهره هو أن آخر الأمرين من رسول الله ﷺ كان الإذن فى كتابة السنن ويدل لذلك أمور :

(أ) منها ما رواه البخارى عن ابن عباس « لما اشتد بالنبى ﷺ وجعه . قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » . فقد هم النبى ﷺ أن يكتب لأصحابه كتابا وهو لا يهم إلا بحق ، وهذا منه ﷺ نسخ للنهى السابق .

(ب) ومنها ما رواه أحمد والبيهقى فى المدخل والعقيلى من طرق مختلفة ، أن أبا هريرة قال : « ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ منى إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب ، استأذن رسول الله ﷺ أن يكتب بيده ما سمع منه فأذن له » .

فاستئذان عبد الله بن عمرو من النبى فى كتابة الحديث يدل على أن الكتابة كان منهيا عنها أول الأمر . ثم أذن فيها لعبد الله وغيره لأنه لا خصوصية لعبد الله بن عمر وعلى غيره ، وإذن لم يلتحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى إلا وكتابة الحديث مأذون فيها .

على أن حديث النهى عن كتابة السنن الذى استندوا إليه فى عدم حجية السنة ، جاء الأمر فيها بالتحديث ، فقال ﷺ : « وحدثوا عنى ولا حرج » . فلو أن السنة ليست بحجة لما أمر النبى ﷺ بالتحديث عنه ، لأنه يكون أمرا بتحصيل ما هو عبث . وهو ﷺ لا يأمر بالعبث ، فحيث أنه قد أمر بالتحديث فما ذلك إلا لأن السنة حجة فى الدين .

كما أنه لم تتعين الكتابة طريقا لصيانة السنة بل هناك ملكات الصحابة فى الحفظ تقوم مقام الكتابة بل أكثر، فإنهم كانوا لا يعولون إلا على الحفظ، ويعيبون الكتابة، ويقولون لأتباعهم : احفظوا عنا كما كنا نحفظ عن رسول الله ﷺ، فلو أن السنة لم تكتب أصلا على عهد النبى ﷺ وأصحابه لما كان ذلك مؤديا لعدم الثقة بها لأن صدور الصحابة كانت أوعية لصيانتها، ودرعا واقية لها، لقد كان للصحابة ملكات للحفظ لم يبلغ شأوها أمة من الأمم.

وقد استمر الأمر على هذا النهج من حفظ السنن فى الصدور إلى أن ظهرت بوادر الضعف على هذه الملكات فأسرع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى إصدار أوامره لولاته فى الأمصار المختلفة بكتابة السنن ومن هذا الوقت تعاون الحفظ والكتابة بصورة رسمية. إلى أن جاء عصر التدوين ودونت العلوم وكانت للسنة الحظ الأكبر من اهتمام العلماء بتدوينها، ثم تتابع العلماء على جمع الأحاديث وتمحيصها فى كل عصر، حتى وصلت إلينا، وقد تميز منها الأصيل المقبول من الدخيل المردود، فى موسوعات زاخرة بالحديث تنم عن قوة جبارة، وتعطينا ثورة هائلة فى الفقه الإسلامى.

٣ – زعم الرافضة أن الصحابة جميعا ما عدا آل بيت على كرم الله وجهه ليسوا بعدول لأن أبا بكر وعمر اغتصبا الخلافة من على وأيدهما فى ذلك سائر الصحابة فكانوا جميعا ظلمة فساقا ولا تقبل رواية الفاسق.

والجواب :

أن أصل هذه الطائفة من المجوس الذين أكل قلوبهم الحقد على الإسلام الذى فتح بلادهم عنوة ، فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ، لينالوا من هذه الدولة الإسلامية وتظاهروا بحب على رضى الله عنه وآل بيته ، وزعموا فيهم المزاعم الباطلة ، والتى منها أن الخلافة كانت حقاً لعلى بن أبى طالب بوصية من رسول الله ﷺ ، وقد اغتصبها منه الشيخان ووافقهما سائر الصحابة على ذلك .

وهذا زعم لا أصل له إلا فى أذهان هؤلاء ، فقد بايع على وآل بيته أبا بكر وعمر وعثمان بالخلافة ، فلو أن الخلافة كانت حقاً لعلى لما سكت عن حقه ، ولما سكت سائر الصحابة على ذلك ، لأنهم كانوا لا يسكتون على ما هو أقل خطرا من ذلك من أمور الدين ، بل كانوا يراجعون الخلفاء فى كل صغيرة وكبيرة ، ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم . فلو أنهم علموا بهذه الوصية لراجعوا أبا بكر وعمر فى ذلك ، ولما سكتوا أبدا وهم الشجعان ، وإنما الذى حصل أنهم أجمعوا وفيهم آل البيت على بيعة الشيخين وعثمان من بعدهما .

ويظهر أن أمر الوصية من النبى ﷺ لعلى بالخلافة ، كان شائعا على ألسنة هؤلاء القوم فى زمن على بن أبى طالب حتى أنه اضطر إلى تكذيب هذه الشائعة ، فقد روى البخارى فى كتاب العلم وغيره عن أبى جحيفة الصحابى أنه قال : قلت لعلى : « هل عندكم كتاب ؟ قال : لا والذى فلق الحبة وبدأ النسمة إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة ؟ قال : قلت وما فى هذه الصحيفة ؟ قال العقل ،

وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر » فأنت ترى أبا جحيفة يسأل عليا عن شيء خصهم به رسول الله ﷺ من أسرار الوحى . وما سأل هذا السؤال إلا أنه سمع حديثا يدور حول وصية النبى ﷺ لعلى بالخلافة ، وقد نفى على رضى الله عنه ذلك نفيا باتاً وأقسم على ذلك .

٤ – قالوا : إن الأحاديث المنسوبة إلى النبى ﷺ ، فيها الضعيف الذى لم يثبت عنه ، والموضوع الذى هو مكذوب عليه . الأمر الذى يرفع الثقة بالأحاديث جميعها حيث لا يمكن لنا معرفة ما يعتمد عليها منها وما لا يعتمد .

والجواب على ذلك :

أن هذه شبهة ساقطة ، إذ من المعلوم أن علماء الإسلام الموثوق بهم فى رواية الحديث ومعرفة تراجم الرواة ، لم يدعوا شيئاً من الأحاديث إلا وبينوا منزلته من القبول والرد حتى أفردوا لذلك فناً خاصا يسمى (مصطلح الحديث) ألفوا فيه الكتب والرسائل ، وكذلك فعلوا فى تاريخ الرواة ، وأفردوا لذلك فناً أسموه فن الجرح والتعديل .

فأى حجة بعد ذلك تصرفنا عن الاحتجاج بالسنة ؟ ؟

هذه أخبار الناس ، وأحاديثهم . يوجد منها الصادق والكاذب ، أفيسوغ لنا أن نتركها جملة بحجة إن فيها الكاذب ؟ ! . أم الواجب علينا أن نبحث عن الأخبار الكاذبة حتى نعرفها ونردها ، ولا نعتمد عليها ، ونبحث عن الأخبار الصادقة حتى نعرفها ، ونأخذ بها ؟ وهكذا فعل علماء المسلمين بالأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ ، فإنهم بحثوا

ودققوا عنها ، حتى وقفوا على ما صح نقله عن النبى ﷺ ، فنبهوا على ثبوته واعتمدوا عليه ، ووقفوا على ما كان بخلافه فلم يعولوا عليه ولكن ردوه وزيفوه .

أما تشبثهم بقولهم : من أين لنا الوقوف على قيمة كل حديث ودرجته من الصحة أو الضعف ؟ فجوابه أن علماء الدين قد بينوا كل ذلك ووضحوه ، فما عليكم إن أردتم الحق ونشدتم الصواب إلا أن تتواضعوا لهم وترجعوا فى أمر دينكم إلى أقوالهم ، وهم إن شاء الله يبينون لكم الطيب من الخبيث ، إنكم إن فعلتم ذلك تكونوا قد أرضيتم ربكم بامتثال أمره (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون[1]) .

٥ – قالوا : إن بعض الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ يتناقض مع الدليل العقلى القاطع ، والاكتشافات العلمية الحديثة ، ولا مخلص من ذلك على زعمهم إلا بالاقتصار على القرآن ، وإهمال الأحاديث النبوية .

والجواب :

أن نقول : إن القاعدة فى الشريعة الإسلامية – على ما قرره علماء الإسلام – أنه يجب علينا معشر المسلمين الأخذ بظواهر القرآن والحديث الثابت عن رسول الله ﷺ ما لم يقم دليل عقلى قاطع ينافى ظاهر شىء من ذلك ، فإن قام دليل عقلى قاطع ينافى ظاهر حديث أو آية كان علينا أن نؤول هذا الظاهر ونرجع به إلى معنى محتمل يحصل به التوفيق بين

---

(١) سورة الأنبياء (٧) .

ذلك النص ، وبين الدليل العقلى القاطع ، وليس فى القرآن ولا فى الأحاديث الثابتة عن الرسول ﷺ شىء ما يخالف ظاهره الدليل العقلى القاطع إلا ويمكن تأويل ظاهره ، والتوفيق بينه وبين ذلك الدليل .

أما النصوص التى لا تقبل التأويل ومعانيها متعينة فلا شىء منها يخالف الدليل العقلى القاطع ، ولا يمكن أن يقام دليل عقلى على مخالفتها .

فكان الأولى لهم من قولهم بترك الأخذ بالأحاديث لهذه الشبهة الواهية أن يسألوا علماء الدين عن تطبيق كل حديث منها وجدوا ظاهره مخالفا فى نظرهم الدليل العقلى القاطع ، وهم يبينون لهم التوفيق بينهما على أقوم طريق ويظهر لهم أن الدين الإسلامى لا شىء من نصوصه مخالف للعقل فى واقع الأمر ، وإنما يتخيل المخالفة ظاهرا من قصر فهمه ، وقل علمه .

٦ – زعمت طائفة من الطاعنين فى السنة أنه لا يجب العمل بالحديث إلا بعد عرضه على كتاب الله فإن وافقه قبل ، وإن خالفه لا يعمل به ، وسندهم فى ذلك حديث ينسبونه إلى النبى ﷺ هو (ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله ، وإنما أنا موافق كتاب الله وبه هدانى الله[1]) .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢٣٣/٢ .

والجواب :

أن هذا الحديث الذى استندوا إليه ذكر أئمة الحديث أنه مكذوب وضعته الزنادقة والخوارج .

قال الحافظ بن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله ما نصه :

« أمر الله بطاعة نبيه ﷺ واتباعه أمرا مطلقا مجملا لم يقيد بشئ كما أمرنا باتباع كتاب الله ، ولم يقل وافق كتاب الله كما قال بعض أهل الزيغ .

قال عبد الرحمن بن مهدى :

الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث[١] . ثم قال : وألفاظ هذا الحديث لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم ، وقالوا نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شىء ونعتمد على ذلك . . . قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا له ، لأنا لم نجد فى كتاب الله أنه لا يقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسى به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة عن أمره جملة على كل حال[٢] » ا . هـ .

قال الإمام الشافعى : هذا الحديث رواه رجل مجهول وهو منقطع ، ولم يروه أحد يثبت حديثه ، وقال البيهقى فى كتاب المدخل إلى دلائل

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

النبوة : الحديث الذى روى فى عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن [1] .

وفى عون المعبود : « فأما ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فخذوه – فإنه حديث باطل لا أصل له [2] » .

ونقل العلامة الفتنى عن الخطابى أنه قال : وضعته الزنادقة [3] .

فثبت بما تقدم أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، وإن ما تعلق به بعض الملحدين وضعاف الإيمان إنما هو وهم وخيال لا أساس له ، والمقصود منه إنما هو التشكيك فى حقيقة هذا الدين الذى أعزنا الله به ، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا . . [4] ﴾ .

---

(١) الرسالة ٢٢٤ – ٢٢٥ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر .

(٢) عون المعبود ٣٢٩/٤ .

(٣) تذكرة الموضوعات ص ٢٨ .

(٤) البقرة (٢١٧) .

المبحث التاسع

فى حجية الحديث القدسى

لقد ظهر من كل ما تقدم أن الحديث القدسى نوع من أنواع السنة القولية ، وأن الأدلة التى تثبت حجية السنة ، من حيث دلالتها على الأحكام الشرعية تتضمن الدلالة على الأحاديث القدسية بالدرجة الأولى .

فإذا ما أردنا أن نستدل على حجية الأحاديث القدسية فإننا يجب أن نستدل على حجية السنة بوجه عام ، وتدخل الأحاديث القدسية دخولا أوليا ، حيث أن مرتبتها تفوق مرتبة الحديث النبوى ، كما تقدم فى الفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى فتثبت به الأحكام الشرعية كما تثبت بغيره من الأدلة .

وحيث قد انتهينا من القسم الأول ، وثبت بكل ما تقدم حجية الحديث القدسى ، فلنشرع فى القسم الثانى ، وهو الأحاديث القدسية ، وبالله التوفيق .

القسم الثانى

الأحاديث القدسية وما يتعلق بها من أحكام

بـــاب

ما جاء فى تصحيح العقيدة

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . قال الله عز وجل : « يؤذينى[1] ابن آدم ، يسب الدهر[2] وأنا الدهر ، بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار » .

أخرجه البخارى فى كتاب التفسير سورة الجاثية (١٣٣/٦) كما أخرجه فى كتاب الأدب (٤١/٨) .

٢ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله : يسب بنو آدم الدهر ، وأنا الدهر ، بيدى الليل والنهار » .

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، كما أخرجه مسلم وأبو داود فى الأدب ، والنسائى فى التفسير .

٣ – وفى رواية لمسلم : « يؤذينى ابن آدم ، يقول : ياخيبة الدهر ، فإنى أنا الدهر ، أقلب ليله ونهاره » .

٤ – عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : قال الله

---

(١) الإيذاء فى الأصل إيصال المكروه إلى الغير ، والمراد به فى حق الله تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضاه .

(٢) الدهر فى الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ الوجود إلى انقضائه ، ويعبر به عن كل مدة كثيرة ، وهو خلاف الزمان ، فانه يطلق على المدة القليلة والكثيرة .

تعالى : «كذبنى ابن آدم[1] ولم يكن له ذلك ، وشتمنى[2] ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى ، فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون[3] علىّ من إعادته ، وأما شتمه إياى ، فقوله : اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد[4] ولم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد» .

أخرجه البخارى فى كتاب التفسير – من سورة الاخلاص – (١٦٠/٦) .

٥ – وفى رواية عنه : «أما تكذيبه إياى ، أن يقول : إنى لن أعيده كما بدأته ، وأما شتمه إياى ، أن يقول : اتخذ الله ولداً ، وأنا الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد» .

٦ – عن أبى هريرة رضى الله عنه : عن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : «كذبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يكذبنى ، وشتمنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يشتمنى ، أما تكذيبه إياى ، فقوله : إنى لا أعيده كما بدأته ، وليس آخر الخلق بأعز على من أوله ، وأما شتمه إياى ، فقوله : اتخذ الله ولدا ، وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد» .

---

(١) أى بعض بنو آدم وهم من أنكروا البعث والجزاء .

(٢) الشتم : هو الوصف بما لا يليق .

(٣) أى أن الاعادة والبدء بالنسبة لله تعالى سواء ، فليس هناك صعب وأهون بالنسبة لقدرته سبحانه .

(٤) الصمد هو المقصود فى كل الحوائج .

أخرجه النسائى باب أرواح المؤمنين (١١٢/٤) .

٧ – عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ، صلاة الصبح بالحديبية ، على إثر سماء[١] كانت من الليلة ، فلما انصرف النبى ﷺ أقبل على الناس ، فقال لهم : هل تدرون ما ذا قال ربكم[٢]؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا[٣] فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب .

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (١٤٥/٩) .

٨ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : « ما أنعمت على عبادى من نعمة ، إلا أصبح فريق منهم بها كافرين ، يقولون : الكوكب وبالكوكب » .

٩ – وأما رواية زيد بن خالد الجهنى ، فهى باللفظ الآتى :

« عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : « مطر النبى ﷺ فقال : ألم تسمعوا ماذا قال ربكم الليلة ؟ قال : ما أنعمت على عبادى من نعمة إلا أصبح طائفة منهم بها كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء كذا

---

(١) سماء : أى عقب مطر .

(٢) المراد بالاستفهام هو التنبيه لما بعده .

(٣) النوء : الكوكب ، يعنى معتقدا ما كان عليه أهل الشرك من إضافة المطر إلى النوء ، وأن المطر من أجل أن الكوكب « ناء » بمعنى سقط وغاب ، أو نهض وطلع .

وكذا ، فأما من آمن بى وحمدنى على سقياى فذاك الذى آمن بى ، وكفر بالكوكب ، ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذاك الذى كفر بى ، وآمن بالكوكب » أخرجه النسائى فى سننه باب كراهية الاستمطار بالكوكب .

فقه الباب

فى الأحاديث المتقدمة تحذير لبنى آدم بأن لا يفعلوا ما يغضب الله سبحانه وتعالى ، وذلك بسب الدهر وعدم الرضا بقضاء الله وقدره ، فإن الدهر إنما هو مخلوق الله سبحانه وتعالى ، لا يملك لنفسه شيئا . فإن الاعتقاد بأن الدهر هو السبب فى جلب الخير أو الشر إنما هو زعم باطل . قال الله تعالى – حكاية عمن اعتقد ذلك وتكذيبا له : (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون[١]) .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه وأبو عبيد فى تفسير قوله : «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» كانت العرب فى جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو ملامة قالوا : يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ، ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبوا الله سبحانه وتعالى ، لأنه فاعل ذلك فى الحقيقة ، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار ، لأن الله هو الذى يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال[٢] .

وفى الحديث الرابع والخامس والسادس وعيد شديد لمن ينكر قدرة

---

(١) الجاثية (٢٤) .

(٢) شرح الأحاديث القدسية للشيخ محمد منير الدمشقى .

الله على البعث ، حيث يستبعدون على الله عز وجل إعادتهم بعد ما فنوا ، ولم يتدبروا أن الذى أوجدهم من العدم قادر على إعادتهم كما قال عز وجل حكاية عن العاصى بن وائل : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم[1] ﴾ .

كذلك فيها وعيد شديد على من نسب إلى الله مالا يليق به من اتخاذ الشريك ، والزوجة ، والولد ، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وفى الحديث السابع والثامن والتاسع إبطال لما كان يعتقده بعض أهل الشرك من أن طلوع كوكب من الكواكب أو غيابه سبب فى نزول المطر الذى هو سبب فى إنبات الزرع . فمن اعتقد أن المنزل للمطر هو الكوكب فهو كافر ، وأما من اعتقد أن طلوع الكوكب أو غيابه وقت نزول المطر ، كما كان يعتقده بعض العرب من جعل طلوع بعض الكواكب أو غيابها علامة معينة لنزول المطر فلا يكون ذلك كفرا .

قال الإمام الشافعى : فمن زعم أن المطر يحصل عند سقوط الثريا – مثلا – فإنما هو إعلام للوقت والفصول ، فلا محذور فيه وليس من وقت ولا زمن إلا وهو معروف بنوع من مرافق العباد يكون فيه دون غيره[2] .

---

(١) سورة يس (٧٨ – ٧٩) .

(٢) أنظر شرح الحديث فى القسطلانى (٢٥٧/٢) .

وخلاصة ذلك أن من اعتقد أن مثل هذه المخلوقات تؤثر بذاتها فى نفع العباد أو إضرارهم فهو كافر . وأما من اعتقد أن ذلك مجرد علامات يستدل بها على نزول المطر أو غيره كما هو معروف من الطوالع المختلفة فى أزمنة السنة ، وهى المعروفة بمنازل القمر فلا شىء فى ذلك .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – أن الخالق لكل شىء هو الله سبحانه وتعالى .

٢ – عدم السخط على قضاء الله تعالى مع الرضا بما قدره سبحانه .

٣ – حرمة سب الدهر ، وأن ما يقوله بعض الناس من العيب على الزمان مخالف للشريعة .

٤ – التنديد بمن ينكر البعث : أو ينسب إلى الله مالا يليق به من الصاحبة والولد .

٥ – فيها دلالة على أن من وصف غيره بما لا يليق به فقد شتمه وعابه .

٦ – فى هذه الأحاديث تشنيع على من يعتقدون أن الأشياء تنفع أو تضر بذاتها .

٧ – فى هذه الأحاديث رد على الماديين الذين يقولون إن الأشياء توجد بطبيعتها بدون خالق . ونسوا أن المؤثر فى جميع الأشياء – إيجادا وإعداما – هو الله سبحانه وتعالى .

بـــاب

ما جاء فى فضل ذكر الله تعالى وكلمة التوحيد

١ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – (إن لله ملائكة ، يطوفون فى الطرق . يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم – وهو أعلم بهم – ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك ، فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا ، والله ما رأوك ، قال : فيقول : وكيف لو رأونى ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا وتحميدا ، وأكثر تسبيحا ، قال : فيقول : فما يسألوننى ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا ، والله يارب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة ، قال : يقـــول : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال ، يقولون : لا والله يارب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، قال : يقول

ملك من الملائكة : فيهم فلان ، ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : يقول : هم الجلساء ، لا يشقى بهم جليسهم[1]) .

فقـه البـاب

ذكر الله تعالى غذاء الأرواح وبهجة القلوب ونور البصيرة ، وطهارة السريرة ؛ إنه يجلى ظلمة القلوب ، ويبعث الطمأنينة فيها ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب[2] ﴾ .

من أجل ذلك تكرر فى القرآن الكريم فى غير موضع الأمر بذكر الله قال تعالى : ﴿فاذكرونى أذكركم[3] ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين[4] ﴾ .

وقال عز شأنه : ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون[5] ﴾ .

وقال تعالى : ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما[6] ﴾ .

والآيات فى ذلك كثيرة ، ومنها هذه الآية الكريمة :

---

(١) رواه البخارى ، باب فضل الله تعالى جـ ٨ ص ٨٦ – ٨٧ متن البخارى طبعة ميرى .
(٢) الرعد (٢٨) .
(٣) البقرة (١٥٢) .
(٤) الأعراف (٢٠٥) .
(٥) الجمعة (١٠) .
(٦) الأحزاب (٣٥) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً . وسبحوه بكرة وأصيلا [1] ﴾ .

يأمر الله المؤمنين بالإكثار من ذكرهم لربهم المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم فى ذلك من جزيل الثواب وحسن المآب ، وأحب أولا أن نعرف جميعا معنى ذكر الله ، الذى أمرنا به ، والذى رتب الله عليه الفلاح وسعادة الدنيا والآخرة ، فأقول ، يقول الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه [2] ﴾ .

فذكر الله يكون باسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، مع خشوع القلب وانشراح الصدر ، وامتلاء النفس بعظمته وقدرته وعلمه وبطشه ورحمته ، ولذلك آثار فى سلوك الذاكر تظهر للعيان ، فيكون الصدق من سماته ، والرحمة واللين وحب الخير للناس من صفاته ، يؤدى الفرائض التى فرضها الله عليه كاملة .

قال فى فتح البارى [3] : والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التى ورد الترغيب فى قولها ، والاكثار منها مثل الباقيات الصالحات ، وهى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة ، والحسبلة [4] والاستغفار ونحو ذلك ، والدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما

---

(١) الأحزاب (٤١ - ٤٢) .

(٢) الأعراف (١٨٠) .

(٣) فتح البارى (١٦٣/١١) .

(٤) الحوقلة : هى « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، والبسملة : هى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، والحسبلة : هى « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

أوجبه ، أو ندب إليه كتلاوة القرآن ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنفل بالصلاة ، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ، ولا يشترط استحضاره لمعناه ، ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه ، وإن انضم إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل . فإن انضم إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ، ونفى النقائص عنه ازداد كمالا ، فإن وقع ذلك فى عمل صالح مهما فرض : من صلاة أو جهاد ، أو غيرها ازداد كمالا .

فإن صح التوجه وأخلص لله تعالى فى ذلك ، فهو أبلغ الكمال .

وقال الفخر الرازى : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد ، والتمجيد . والذكر بالقلب : التفكر فى أدلة الذات والصفات ، وفى أدلة التكاليف من الأمر والنهى حتى يطلع على أحكامها وفى أسرار مخلوقات الله . والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة فى الطاعات ، ومن ثم سمّى الله الصلاة ذكرا فقال : ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله[1] ﴾ ونقل عن بعض العارفين قال : الذكر سبعة أنحاء : ذكر العينين بالبكاء وذكر الاذنين بالاصغاء وذكر اللسان بالثناء ، وذكر اليدين بالعطاء ، وذكر البدن بالوفاء ، وذكر القلب بالخوف والرجاء وذكر الروح بالتسليم والرضا ، والمراد بذكر الله الذكر الكامل ، وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكير فى المعنى واستحضار عظمة الله تعالى ، وأن الذى يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار لذلك .ا . هـ .

---

(١) الجمعة (٩) .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – فضل ذكر الله تعالى ، وأنه فى المرتبة الأولى من العبادة .

٢ – ذكر الله تعالى فيه راحة للنفوس وطمأنينة للقلوب .

٣ – التنويه بفضل مجالس الذكر والعبادة والحث على حضورها .

٤ – الحث على مجالسة الصالحين .

٥ – ذكر الله تعالى يشمل جميع أنواع العبادات من دراسة علم ، وقراءة قرآن ، وذكر ، وتهليل وغيرها .

٦ – الترغيب فى طلب الجنة والتعوذ من النار .

٧ – فضل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) والحث على تردادها ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » .

بـــاب
ما جاء فى حسن الظن بالله تعالى

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه – قال : قال النبى ﷺ يقول الله تعالى : « أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعاً ، تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب « ويحذركم الله نفسه » (١٢٠/٩٠) .

٢ – وفى رواية لمسلم فى صحيحه قريبة فى اللفظ مما ذكر البخارى هنا ، ولم يختلف إلا فى قوله : « وأنا معه حين يذكرنى ، وإن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منهم » .

فقه الباب

يقول الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى » أى قادر على أن أعمل به ما ظن أنى عامله به ، فإن ظن أنى أعفو عنه وأغفر له فله ذلك وإن ظن أنى أعاقبه وأؤاخذه فذلك ، وقيده بعض أهل التحقيق بالمحتضر ، وأما قبل ذلك فالمختار الاعتدال وعليه فينبغى للمرء أن يجتهد

فى العبادات موقناً بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك والله لا يخلف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن خلاف ذلك فهو آيس من رحمة الله تعالى وهذا من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ظنه ، ومحل كل ذلك أن يكون العبد قائما بما طلب منه ، وأما ظن المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك محض الجهل والغرور ، والخلاصة أن حسن الظن المعتبر مستلزم لحسن العمل وإلا فهو الطمع المذموم الذى يورد صاحبه موارد الهلكة ، ومعنى « وأنا معه إذا ذكرنى » أن العبد حين يذكر الله تعالى فالله معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية والإعانة فهى معية خصوصية غير المعلومة من قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) فإنها المعية بالعلم والإحاطة « فإن ذكرنى » بالتنزيه والتقديس والتعظيم « فى نفسه » بالقلب أو باللسان سراً « ذكرته » أى أثبته ورحمته وآمنته إن كان خائفا وآنسته إن كان مستوحشا « فى نفسى » دون أن أعلنه للملائكة أو غيرهم « وإن ذكرنى فى ملأ » أى أمام جمع وهم يستمعون عظمة الله تعالى وجلاله ونعمه وكل ما يليق به « ذكرته فى ملأ خير منهم » وهم الملأ الأعلى أى إن الله تعالى يذكره بحسن الثناء والوعد بالجزاء مسمعا بذلك الملائكة وغيرهم ، وهذا فخر دونه كل فخر ، ولا يلزم من ذلك تفضيل الملائكة على بنى آدم لاحتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من ملأ الذاكر الأنبياء والشهداء فلم ينحصر ذلك فى الملائكة وأيضا فإن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معا فالجانب الذى فيه رب العزة خير من الملأ الذى ليس فيه بلا ارتياب فالخيرية حصلت بالمجموع على المجموع « وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » يعنى من تقرب إلى بطاعة قليلة جازيته

بمثوبة كثيرة وكلما زاد فى الطاعة زدت فى ثوابه وإن كان إتيانه بالطاعة على التأنى فإتيانى له بالثواب على السرعة[1] .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – مضاعفة الله للعبد ثواب أعماله .

٢ – سعة فضل الله تعالى على عباده .

٣ – ترجيح جانب الرجاء على جانب الخوف .

٤ – حسن الظن بالله تعالى ، وأنه لا يرضى لعباده إلا الخير .

---

(١) المنهل الحديث (٢٣٠/٤ – ٢٣١) .

بـــــاب

ما جاء فى قراءة القرآن على سبعة أحرف

عن أبى بن كعب – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ – كان عند أضاة بنى غفار ، فأتاه جبريل – عليه السلام – فقال : إن الله – عز وجل – يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف ، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية : فقال : إن الله – عز وجل – يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين ، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة ، فقال : إن الله – عز وجل – يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة ، فقال : إن الله عز وجل يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[١] .

فقه الباب

من خصائص القرآن الكريم أنه نزل بقراءات مختلفة ، تيسيرا على الأمة فى قراءة كتابها الذى كرمها الله به ، وجعله الدستور الدائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) أخرجه النسائى فى سننه باب جامع (ما جاء فى القرآن) .

وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة اختلافا كثيراً وذهبوا فيه مذاهب شتى ؛ والذى نرجحه من بين هذه المذاهب مذهب الإمام أبى الفضل الرازى وهو أن المراد بهذه الأحرف ، الأوجه التى يقع بها التغاير والاختلاف ، والأوجه التى يقع بها هذا التغاير والاختلاف لا تخرج عن سبعة :

الأول :

اختلاف الأسماء فى الإفراد والتثنية والجمع نحو قوله تعالى فى سورة البقرة (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قرىء لفظ مسكين هذا بالإفراد وقرىء مساكين بالجمع . وقوله تعالى فى سورة الحجرات (فأصلحوا بين أخويكم) قرىء بفتح الهمزة والخاء والواو وبعدها ياء ساكنة على أنه مثنى أخ ، وقرىء « أخوتكم » بكسر الهمزة وسكون الخاء وفتح الواو وبعدها تاء مكسورة على أنه جمع « أخ » وقوله تعالى فى سبأ (وهم فى الغرفات آمنون) قرىء بإثبات الألف بعد الفاء مع ضم الراء على الجمع ، وقرىء بحذف الألف وسكون الراء على الإفراد .

واختلاف الأسماء أيضا فى التذكير والتأنيث نحو قوله تعالى فى البقرة : (ولا يقبل منها شفاعة) قرىء يقبل بياء التذكير وتاء التأنيث . وقوله تعالى فى النحل (الذين تتوفاهم الملائكة) قرىء يتوفاهم بياء التذكير ، وقرىء تتوفاهم بتاء التأنيث . وقوله تعالى فى الأنفال (فإن يكن منكم مائة) قرىء يكن بياء التذكير وتاء التأنيث .

الثانى :

اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر نحو قوله تعالى فى البقرة : (ومن تطوع خيراً) قرىء بفتح التاء والطاء مخففة مع فتح العين على أنه فعل ماض ، وقرىء يطوع بياء مفتوحة وبعدها طاء مشددة مفتوحة مع جزم العين على أنه فعل مضارع . وقوله تعالى بيوسف (فنجى من نشاء) قرىء بجيم مشددة بعد النون المضمومة وبعدها ياء مفتوحة على أنه فعل ماض ، وقرىء بزيادة نون ساكنة بعد النون المضمومة مع تخفيف الجيم وسكون الياء على أنه فعل مضارع . وقوله تعالى فى الأنبياء (قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض) قرىء قال على أنه فعل ماض ، وقرىء قل على أنه فعل أمر . وقوله تعالى فى البقرة (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) قرىء أعلم بهمزة قطع مفتوحة مع رفع الميم على أنه فعل مضارع ، وقرىء أعلم بهمزة وصل تثبت مكسورة فى الإبتداء وتسقط فى الدرج مع سكون الميم على أنه فعل أمر .

الثالث :

اختلاف وجوه الإعراب نحو : قوله تعالى فى البقرة (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) قرىء بضم التاء ورفع اللام على أن « لا » نافية وقرىء بفتح الياء وجزم اللام على أن « لا » ناهية .

وقوله تعالى فى إبراهيم (الله الذى له ما فى السموات) قرىء بخفض الهاء من لفظ الجلالة وقرىء برفعها . وقوله تعالى فى النور (يسبح له فيها بالغدو والآصال) قرىء يسبح بكسر الباء وفتحها على البناء للمعلوم والمجهول .

الرابع :

الاختلاف بالنقص والزيادة ، كقوله تعالى بآل عمران (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) قرىء بإثبات الواو قبل السين وقرىء بحذفها . وقوله تعالى فى يوسف (قال يا بشراى هذا غلام) قرىء بزيادة الياء المفتوحة بعد الألف وقرىء بحذفها . وقوله تعالى فى الشورى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) قرىء فبما بفاء قبل الباء وقرىء بما بحذف الفاء .

الخامس :

الإختلاف بالتقديم والتأخير ، كقوله تعالى فى آل عمران (وقاتلوا وقتلوا) قرىء بتقديم وقاتلوا وتأخير وقتلوا ، وقرىء بتقديم وقتلوا وتأخير وقاتلوا . وقوله تعالى فى الإسراء وفصلت (ونآى بجانبه) قرىء بتقديم الهمزة على الألف وقرىء بتقديم الألف على الهمزة .

وقوله تعالى فى المطففين (ختامه مسك) قرىء بكسر الخاء وتقديم التاء المفتوحة على الألف وقرىء بفتح الخاء وتقديم الألف على التاء المفتوحة .

السادس :

الاختلاف بالإبدال ، أى جعل حرف مكان آخر ، كقوله تعالى فى سورة يونس (هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت) قرىء تبلوا بتاء مفتوحة فباء ساكنة ، وقرىء بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة . وقوله تعالى فى الشعراء (وتوكل على العزيز الرحيم) قرىء وتوكل بالواو ، وقرىء

فتوكل بالفاء ، وقوله تعالى فى سورة التكوير (وما هو على الغيب بضنين) قرىء بالضاد وبالظاء .

السابع :

الاختلاف فى اللهجات : كالفتح والإمالة ، والإظهار والإدغام ، والتسهيل والتحقيق ، والتفخيم والترقيق وهكذا ، ويدخل فى هذا النوع الكلمات التى اختلفت فيها لغة القبائل وتباينت ألسنتهم فى النطق بها نحو : خطوات ، بيوت ، خفية ، زبوراً ، شنآن ، السحت ، الأذن ، بالعدوة ، بزعمهم ، يعزب ، يقنط [1] .

ما يؤخذ من هذا الحديث

١ – أن جميع القراءات الصحيحة متساوية فى أنها كلها حق وصواب فمن قرأ بأية قراءة منها فهو مصيب .

٢ – أن القراءات كلها منزلة من عند الله تبارك وتعالى ، مأخوذة بالتلقى والمشافهة من رسول الله ﷺ ، وليس لأحد أن يغير حرفا من عند نفسه (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى . .) .

٣ – لا يجوز للمسلمين أن يجعلوا اختلاف القراءات مثار نزاع وجدل ، ولا سببا للتشكيك فى هذا الكتاب الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

---

(١) الوافى فى شرح الشاطبية لفضيلة الشيخ عبد الفتاح القاص ٥ : ٧ . وانظر آراء العلماء فى هذه المسألة فى : النشر فى القراءات العشر (١٩/١) . لطائف الإشارات للقسطلانى (٣١/١) .

بـــاب

ما جاء فى جزاء الانتحار وقتل الإنسان نفسه

١ – قال رسول الله – ﷺ – كان فيمن قبلكم رجل به جرح ، فجزع فأخذ سكينا ، فحز يده ، فما رقأ[١] الدم حتى مات ، قال الله تعالى : (بادرنى عبدى بنفسه ، حرمت عليه الجنة[٢]) .

٢ – عن شيبان قال : سمعت الحسن يقول : أن رجلا فيمن كان قبلكم خرجت به قرحة[٣] ، فلما آذته انتزع سهما من كنانته فنكأها[٤] ، فلم يرقأ الدم حتى مات . قال ربكم ، قد حرمت عليه الجنة . ثم مد يده إلى المسجد ، فقال : إى[٥] والله لقد حدثنى بهذا الحديث جندب عن رسول الله ﷺ فى هذا المسجد[٦] .

٣ – عن الحسن قال : حدثنا جندب بن عبد الله البجلى فى هذا المسجد ، فما نسينا ، وما نخشى أن يكون جندب قد كذب على رسول الله ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : خرج برجل فيمن كان قبلكم خراج[٧] إلى آخر الحديث .

---

(١) أى لم ينقطع الدم حتى مات . فتح البارى (٣٢١/٦) .

(٢) أخرجه البخارى فى باب ما ذكر عن بنى اسرائيل .

(٣) القرحة : جمعها قروح ، وهى عبارة عن الحبات التى تخرج فى بدن الإنسان .

(٤) أى فتحها .

(٥) هى حرف جواب بمعنى نعم .

(٦) يقصد مسجد البصره .

(٧) الخراج : هو القرحة ، فكأن الجرح صار قرحة .

٤ – عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى ﷺ ، فقال يا رسول الله : هل لك فى حصن حصين ومنعة ؟ قال : حصن كان لدوس فى الجاهلية . فأبى ذلك النبى ﷺ للذى ذخر(١) الله للأنصار ، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو ، وهاجر معه رجل من قومه . فاجتووا(٢) المدينة ، فمرض ، فجزع ، فأخذ مشاقص(٣) فقطع بها براجمه(٤) فشخبت(٥) يداه حتى مات ، فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه ، فرآه وهيأته حسنة ، ورآه الطفيل مغطيا يديه ، فقال له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لى بهجرتى إلى نبيه ﷺ . فقال : مالى أراك مغطيا يديك ؟ قال : قيل لى : لن نصلح لك ما أفسدت .

فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ « وليديه فاغفر(٦) » .

فقه الباب

يحذر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الأحاديث من قتل الإنسان نفسه ، وأن الإنسان إذا نزلت به نازلة عليه ألا يجزع أمام هذه النوازل ،

---

(١) أى رفض ﷺ هذا العرض ليكون الفضل والشرف الذى ادخره الله لأهل المدينة .

(٢) ضمير الجمع فى « اجتووا » يعود على الطفيل والرجل المذكور ومن يتصل بهما ، ومعناه : كره المقام بها لضجر ونوع من السقم ، وأصله من الجوى ، وهو داء يصيب الجوف .

(٣) مشاقص : جمع مشقص – بفتح الميم والشين – هو سهم فيه نصل عريض ، أو طويل .

(٤) البراجم : بفتح الباء والجيم : مفاصل الأصابع . وقال ابن الأعرابى : الرواجب : رءوس العظام فى ظهر الكف ، والبراجم المفاصل التى تحتها .

(٥) بفتح الشين والخاء : أى سال دمها بقوة .

(٦) الواو عاطفة على محذوف والتقدير : اللهم فاغفر له وليديه .

وأن يصبر على قضاء الله وقدره ، كما يبين ﷺ أن قتل الإنسان نفسه من الكبائر التى تحرم الإنسان من دخوله الجنة ، إلا إذا عفى الله تعالى عنه ، ويؤيد ذلك آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ . . . ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا[1] ﴾ .

ولا يقال : إن لكل شخص أجلا محددا ، فكيف يكون قد بادر ربه ، بمعنى أنه لو لم يقتل نفسه لعاش بعد ذلك فإن أهل السنة يقولون : إن المقتول ميت بأجله ، ولهذا يجيبون على هذا الاعتراض بأن المبادرة إنما هى من حيث التسبب فى ذلك ، والاختيار ، وليست بخروج الروح ، وأطلق على ذلك أنها مبادرة لوجود صورتها ، وإنما استحق المعاقبة لأن الله تعالى لم يطلعه على انقضاء أجله ، فاختار هو قتل نفسه ، فاستحق المعاقبة لعصيانه .

وقد استدل أهل السنة بالحديث الأخير على أن من قتل نفسه ، أو ارتكب كبيرة غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر ، بل هو فى حكم المشيئة ، يجوز أن يعفو الله عنه ، ويجوز أن يعاقبه على ذنبه .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – تحريم قتل النفس ، فإن شرع من قبلنا شرع لنا ، ما دام قد أقره الرسول ﷺ .

---

(١) النساء (٢٩ – ٣٠) .

٢ – الوقوف عند حدود الله تعالى ، وان الأنفس ملك له سبحانه فلا يتصرف فيها إلا هو.

٣ – فيها دليل على رحمة الله تعالى بعباده حيث حرم عليهم قتل أنفسهم .

٤ – فيها حث على الصبر على البلاء وترك الجزع أمام النوازل .

٥ – فيها تحريم فعل الأسباب التى تؤدى إلى المحرم .

٦ – فى الحديث الأخير منها دليل لأهل السنة على أن من قتل نفسه ليس بكافر.

٧ – فيه رد على المعتزلة فى قولهم بتخليد العاصى فى النار ، وعلى الخوارج فى قولهم بكفر مرتكب الكبيرة ، وعلى المرجئة فى قولهم : لا يضر مع الإيمان شيء .

٨ – فى هذه الأحاديث التحدث عن الأمم الماضية ، وما فعلت بقصد الاعتبار والاتعاظ .

٩ – فيها الاحتياط فى التحديث عن رسول الله ﷺ وحرمة الكذب عليه[1] .

---

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ١٧٢٦ – ١٧٢٧ ؟ ط الشعب . أحكام القرآن لابن العربى (٤١١/١) فتح البارى (٣٢١/٦) صحيح مسلم بشرح النووى (٣١٨/١ – ٣١٩) ط . الشعب .

بـــــاب

ما جاء فى صلة الرحم

١ – قال الله تعالى : « أنا الرحمن خلقت الرحم[1] ، وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ومن ثبها[2] ثبته إن رحمتى سبقت غضبى » .

رواه أحمد والبخارى ، وأبو داود والترمذى ، وابن حبان ، والحاكم والبيهقى عن ابن عوف والحاكم والخرائطى والخطيب عن أبى هريرة .

٢ – عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، أو قال بتته » .

رواه أبو داود والترمذى من رواة أبى سلمة عنه .

٣ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ[3] بك من القطيعة . قال : نعم أما ترضين أن أصل من

(١) الرحم : بفتح الراء وكسر الحاء هم الأقارب ، وهم من بينهم وبين الآخر نسب ، سواء كان يرثه أم لا ، وسواء كان ذا محرم أم لا .

(٢) هو من التثبيت ، بمعنى وصلها ، وفى رواية « ومن بتها » بالباء ، وهو من القطع .

(٣) العائذ : المستجير .

وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك ، ثم قال رسول الله ﷺ : اقرءوا إن شئتم : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

رواه البخارى ومسلم .

٤ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«إن الرحم شجنة[١] من الرحمن تقول : يارب إنى قطعت يارب إنى أسىء إلى : يارب إنى ظلمت يارب ، فيجيبها : ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك » .

رواه أحمد باسناد جيد قوى وابن حبان فى صحيحه .

٥ – عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :«خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو[٢] الرحمن فقال لها مه[٣] قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فذاك لك قال أبو هريرة فاقرءوا إن شئتم فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم » .

---

(١) شجنه : أثر من آثار الرحمة .

(٢) الحقو : الازار والخصر ، ومشد الإزار . قال البيضاوى لما كان من عادة المستجير أن يأخذ بذيل المستجار به أو بطرف رداءه وازاره ، وربما أخذ بحقو إزاره ، مبالغة فى الاستجارة ، فكأنه يشير به إلى أن المطلوب أن يحرسه ويذب عنه ما يؤذيه ، كما يحرس ما تحت إزاره ويذب عنه ، فإنه لاصق به ، لا ينفك عنه ، فاستعير ذلك للرحم (القسطلانى ٨٤٢/٧) .

(٣) مه : بفتح الميم وسكون الهاء اسم فعل أى اكفف وانزجر ، قال ابن مالك هى هنا استفهامة ، حذفت ألفها ، ووقف عليها بهاء السكت .

رواه البخارى « من كتاب التفسير » (١٣٤/٦) .

٦ - عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « الرحم حجنة[١] متمسكة بالعرش تتكلم بلسان ذلق[٢] : اللهم صل من وصلنى ، واقطع من قطعنى ، فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم ، وإنى شققت للرحم من إسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن بتكها[٣] بتكته » .

رواه البزار بإسناد حسن (الترغيب والترهيب ٣٤٠/٣) .

٧ - عن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله : « أنا الرحمن وهى الرحم ، شققت لها إسما من اسمى ، من وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته[٤] » .

أخرجه أبو داود فى باب صلة الرحم (٧٧/٢) .

فقه الباب

« الرحم » بفتح الراء وكسر الحاء - كلمة تطلق على الأقارب ، وهم الذين يكون بينهم وبين الإنسان نسب ، سواء أكان هناك توارث بين الطرفين أم لا .

وسواء أكان هذا القريب من المحارم أم لا .

---

(١) حجنة : بفتح الحاء والجيم وتخفيف النون هى صنارة المخزن ، وهى الجريدة العقفاء الذى يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل .

(٢) ذلق : بضم الذال ، أى فصيح بليغ .

(٣) بتكها : أى قطعها .

(٤) بتته : قطعته .

وقيل : هم المحارم فقط ، وهذا القول ضعيف ، لأنه يترتب عليه أن يخرج من نطاق الأرحام أولاد الأعمام ، وأولاد الأخوال وليس كذلك .

ومعنى « صلة الرحم » هو الإحسان إلى الأقارب من ذوى النسب والأصهار ، والعطف عليهم ، والمعونة لهم ، والرعاية لأحوالهم حتى ولو أساءوا ، وقطع الرحم ضد ذلك ، فيقال : وصل فلان رحمه ، أى أحسن إليهم ، وكأنه بإحسانه قد وصل ما بينه وبينهم من روابط القرابة والمصاهرة ، ويقال : قطع فلان رحمه ، أى هجرهم ومنع عنهم ، وكأنه بذلك قد قطع بينه وبينهم تلك الرابطة .

ومعنى « شققت لها إسما من إسمى » : أن الله تبارك وتعالى هو « الرحمن الرحيم » ، والرحمن الرحيم مشتقان من مادة « الرحمة » وكذلك كلمة « الرحم » مشتقة من مادة « الرحمة » . فيكون المعنى : إنى أخذت لها إسما من إسمى « الرحمن » فلها به علاقة من هذه الناحية[1] .

وقد حث الشرع على صلة الرحم ، وحذر من قطعها ، وفى ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا[2]﴾ .

وقال تعالى : ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل[3] . . .﴾ .

(١) أدب الأحاديث القدسية . الدكتور الشرباصى ص ٢١٥ - ٢١٦ .
(٢) مفتتح سورة النساء .
(٣) الإسراء ٢٦ .

وقال تعالى : ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب[1] ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا[2] ﴾ .

وقال جل شأنه ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم[3] ﴾ .

وقد جاء فى الأحاديث النبوية أن صلة الأرحام من أفضل الأعمال ، وأنها سبب من أسباب البركة فى العمر والسعة فى الرزق .

فمن ذلك ما روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث معاذ بن أنس الجهنى أن النبى ﷺ قال : « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله : إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلى ، وأحلم عليهم ويجهلون على ، فقال : إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل[4] ولا يزال

---

(١) الرعد ٢٤ .

(٢) النساء ٦٥ .

(٣) سورة محمد (٢٢ - ٢٣) .

(٤) المل - بفتح الميم وتشديد اللام هو الرماد الحار .

معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك[1] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ[2] له فى أثره فليصل رحمه[3] » .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه – عن النبى ﷺ – قال : « من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه[4] » .

وقد يقال : إن ظاهر هذه الأحاديث معارض لقوله تعالى ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون[5] ﴾ .

فإن هذه الآية وما شابهها تدل على أن العمر محدد ، فما معنى هذا التأخير ؟ .

فالجواب : أنه يمكن الجمع بين ذلك على وجهين :

أحدهما : إن هذه الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة ، وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك ، **ومثل** هذا ما جاء أن النبى ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر . وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل

---

(١) رواه الإمام مسلم (الترغيب والترهيب ٣٤١/٣) .

(٢) ينسأ : أى يؤخر .

(٣) رواه البخارى ومسلم (الترغيب والترهيب ٣٣٤/٣) .

(٤) رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائده ، والبزار بإسناد جيد والحاكم (الترغيب والترهيب ٣٣٥/٣) .

(٥) الأعراف (٣٤) .

فكأنه لم يمت ، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق : العلم الذى ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح .

ثانيهما أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وأما الأول الذى دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى كأن يقال للملك مثلا إن عمر فلان مثلا مائة إن وصل رحمه وستون إن قطعها وقد سبق فى علم الله تعالى أنه سيصل أو يقطع فالذى فى علم الله تعالى لا يتقدم ولا يتأخر ، والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب[1] ﴾ .

فالمحو والإثبات بالنسبة إلى ما فى علم الملك ، وما فى أم الكتاب هو الذى فى علم الله تعالى فلا محو فيه البتة ، ويقال له القضاء المبرم ، ويقال للأول القضاء المعلق ، والوجه الأول أليق بلفظ حديث للباب « وينسأ له فى أثره » فإن الأثر ما يتبع الشيء ، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور .

وقال الطيبى : الوجه الأول أظهر ، وإليه يشير كلام صاحب الفائق قال ويجوز أن يكون المعنى الله يبقى أثر واصل الرحم فى الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم .

ولما أنشد أبو تمام قوله فى بعض المراثى :

توفيت الآمال بعـــد محمـــد   وأصبح فى شغل عن السفر السفر

---

(١) الرعد (٣٩) .

قال أبو دلف : لم يمت من قيل فيه هذا الشعر ، ومن هذه المادة قول الخليل عليه السلام : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » .

وقد ورد فى تفسيره وجه ثالث ، فأخرج الطبرانى فى الصغير بسند ضعيف عن أبى الدرداء . قال :

ذكر عند رسول الله ﷺ « من وصل رحمه أنسىء له فى أجله فقال إنه ليس زيادة فى عمره ، قال الله تعالى (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة الآية) . ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده » وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفى الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله .

وقال غيره : فى أعم من ذلك وفى وجود البركة فى رزقه وعلمه ونحو ذلك[1] .

قال القرطبى :

الرحم التى توصل عامة وخاصة ، فالعامة : رحم الدين ، وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح ، والعدل والإنصاف ، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة .

وأما الرحم الخاصة : فتزيد النفقة على القريب ، وتفقد أحوالهم ، والتغافل عن زلاتهم .

قال الحافظ بن أبى جمرة : تكون صلة الرحم بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر ، وبطلاقة الوجه ، وبالدعاء .

---

(١) هامش الترغيب والترهيب (٣/٣٣٤ - ٣٣٥) .

والمعنى الجامع لصلة الرحم ، إنما يكون بإيصال الخير ودفع الشر على قدر الإمكان ، وعلى حسب الحاجة . فإذا لم يكن رحم الإنسان فى حاجة إليه فصلتهم تكون بالسؤال عنهم ومودتهم ، والتحبب إليهم وزيارتهم .

وهذا مشروط بما إذا كانوا مستقيمين ، ومطيعين لله عز وجل ، فإن كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم ، بشرط بذل الجهد فى وعظهم وإرشادهم إلى العودة إلى الطريق الحق والهداية ، ثم يدعو الله لهم بظهر الغيب حتى يعودوا إلى الطريق المثلى[1] .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – الحث على صلة الرحم والعطف عليهم .

٢ – التحذير من قطيعة الرحم وأنها تورث غضب الله تعالى .

٣ – صله الرحم من أسباب البركة فى العمر وسعة الرزق .

٤ – عناية الإسلام بأفراد المجتمع والحرص على توطيد العلاقة الطيبة بين لبناته .

٥ – أن مقابلة السيئة بالحسنة من أفضل الأعمال .

---

(١) النفحات السلفية ٦١ بتصرف .

بـــاب

ما جاء فى حكم التصوير

١ – حدثنا ابن فضيل عن عمارة عن أبى زرعة ، سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : قال الله عز وجل : « ومن أظلم[١] ممن ذهب يخلق كخلقى[٢] ؟ فليخلقوا ذرة[٣] ، أو يخلقوا حبة أو شعيرة » .

أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (١٦٢/٩) .

٢ – وفى رواية له عن عمارة ، قال حدثنا أبو زرعة ، قال : دخلت مع أبى هريرة رضى الله عنه دارا بالمدينة ، فرأى فى أعلاها مصورا يصور ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أى قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ؟ فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة » . ثم دعا بتور[٤] من ماء ، فغسل يديه حتى بلغ إبطه ، فقلت : يا أبا هريرة شىء سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : منتهى الحلية[٥] .

---

(١) أى لا أحد أظلم ممن فعل ذلك .

(٢) أى لا أحد أظلم ممن قصد أن يصنع مثل خلقى ، وهذا التشبيه فى بعض الصور لا من كل الوجوه ، واستشكل هذا بأن الكافر أظلم من المصور ، وأجيب عنه بأنه مقصود به الذى يصور الصنم للعبادة ، فقد أصبح فى حكم الكافر ، بل قد يزيد عليه فى العذاب لقبح ما فعل .

(٣) المقصود بالذرة ، أو بالحبة ، أو بالشعيرة التعجيز بخلق أصغر شىء .

(٤) التور : بتاء مفتوحة وواو ساكنة : فراء إناء كالطست .

(٥) الحلية : التحجيل من أثر الوضوء .

٣ – وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ : دخلت مع أبى هريرة فى دار مروان فرأى فيها تصاوير ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقى ؟ فليخلقوا ذرة أو يخلقوا شعيرة » .

فقه الباب

هذه الأحاديث ظاهرها تحريم التصوير بأى شكل كان ، ويؤيدها أحاديث نبوية كثيرة ، فينبغى أن نورد بعض هذه الأحاديث ثم نبين المراد منها ، كما ارتضاه المحققون من العلماء ، وهذه هى الأحاديث المتعلقة بالتصوير :

١ – قال النبى ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير » .

رواه البخارى فى كتاب اللباس « باب التصاوير » .

٢ – قال ﷺ : « إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون » .

رواه البخارى « باب عذاب المصورين » .

٣ – قال ﷺ : « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم أحيوا ما خلقتم » .

رواه البخارى « باب عذاب المصورين » .

٤ – عن عائشة رضى الله عنها قالت :« قدم رسول الله ﷺ من

سفر ، وقد سترت بقرام[1] لى على باب سهوة لى ، فيها تماثيل ، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال : أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » قالت : فجعلناه وسادة أو وسادتين .

رواه البخارى « باب ما وطىء من التصاوير » .

٥ - عن أنس رضى الله عنه قال : كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها ، فقال لها النبى ﷺ : « أميطى عنك - أى قوامك - فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى » .

أخرجه البخارى « باب كراهية الصلاة فى التصاوير » .

٦ - وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : وعد النبى ﷺ جبريل ، فراث ، أى أبطأ عليه ، حتى اشتد على النبى ﷺ ، فخرج النبى ﷺ فلقيه ، فشكا إليه ما وجد ، فقال له - أى جبريل - « انا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب » .

أخرجه البخارى « باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة » .

وقد روى هذه الأحاديث الإمام مسلم - أيضا - مع بعض اختلاف فى روايتها .

٧ - وفى رواية لمسلم : جاء رجل إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - فقال : إنى رجل أصور هذه الصورة . فافتنى فيها ، فقال له : أدن منى فدنا منه ، ثم قال : أدن منى ، فدنا حتى وضع يديه على رأسه ، قال :

---

(١) القرام : الشىء الذى يستر به وفيه نقوش .

أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول لله ﷺ يقول : «كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه فى جهنم» .

وقال : إن كنت لابد فاعلها فاصنع الشجر ، ولا نفس له

الخلاصة :

وقد اختلف العلماء فى الأحكام التى تؤخذ من هذه الأحاديث ، وخلاصة ما كتب فيها ما جاء فى كتاب الأحاديث القدسية طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ولنفاسة هذا البحث القيم ننقله بنصه وهو :

الكلام على حكم التصوير
وما يتعلق به من الأحكام

« نقول » وبالله التوفيق – قد وردت أحاديث تفيد النهى عن التصوير عامة ، وأحاديث استثنى فيها الرقم فى الثوب ، وأحاديث تجيزها ، إذا كانت ممتهنة ، وأحاديث تدل على أن النهى عنها ، لأن النظر إليها يذهب بالخشوع فى العبادة – وأحاديث تدل على أن عرض الصورة إذا كان للتعريف بصاحب الصورة فهو جائز وغير ممنوع منه – كما فى حديث عرض جبريل عليه السلام صورة عائشة – رضى الله عنها – فى المنام على النبى ﷺ ، فإن المقصود من ذلك العرض إنما هو تعريف النبى ﷺ بشخصية من اختارها الله تعالى لتكون زوجا له .

فللجمع بين هذه الأحاديث – يحمل التحريم الشديد على من قصد

بالتصوير مضاهاة خلق الله تعالى ، أو صورها لعبادتها وتعظيمها ويشير إلى ذلك قوله ﷺ عن ربه : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى) أى قصد ذلك ، وقوله : « المصورون الذين يضاهون خلق الله » فهذا العمل حرام لذاته ، لأنه اما شرك أو قريب من الشرك .

وأما التصوير للصالحين والعظماء ليقتدى بهم فى أعمالهم – فذلك مقصد حسن فى ذاته ، ولكنها تحرم للخوف من تعظيمها وعبادتها كما كان شأن الأصنام فى أولها وفى نهايتها – ولا سيما إذا وضعت فى أمكنة العبادة كالمساجد ، ولا يظن أن ذلك بعيد ، فقد يتطاول الزمان ويكثر الجهل ، فيفتح الشيطان بذلك بابا من الشر على الناس ، وقد قال النبى ﷺ : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه » .

وذلك كله فى الصور التى لها جرم تعيش به ، فلو قطع رأسها أو خرق بطنها وجوف تجويفا واسعا ، فلا تحرم – وكذلك الصور التى هى أرقام على الثياب ونحوها – إذا كانت بحالة امتهان – وأما لو كانت بحالة تعظيم فتكون مكروهة ، حيث لا يبلغ تعظيمها مبلغ تعظيم العبادة ، وإلا حرمت .

وأما التصوير لقصد التعريف بشخصية المصور ، كصور البطاقات ونحوها وكصور المشبوهين وجواسيس الأعداء للنجاة من شرهم وكصور الحيوانات الضارة والنافعة للانتفاع بخواصها – فذلك كله – مع ما فيها من قصد التعريف والعلم بشخصية المصور مما تدعو إليه بحاجة ، فهذه

مطلوبة ، وقد تشتد إليه الحاجة فتنزل منزلة الضرورة ، فيكون واجبا ، لأنها وسيلة إلى العلم ، فتعطى حكم العلم المطلوب : الوجوب أو الاستحباب – ومن الأمور المباحة تصوير الآباء والأجداد لتحفظ صورهم للأبناء والأحفاد ليعرفوا هيئتهم ، وذلك بشرط ألا يعرضها الآباء على أبنائهم عرض تعظيم ، بل يكون لمجرد التعريف بهم فقط .

ويؤخذ من قوله ﷺ لعائشة : « أميطى عنك قرامك فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى » ولا شك أنها كانت أرقاما ، فيؤخذ من ذلك أن صور الأرقام إذا أدت إلى محظور كالصور الخليعة ، التى يثير النظر إليها الشهوة لاسيما عند الشبان ، فتكون حراما لذلك – ومثل ذلك عرض الأفلام ، فهى فى ذاتها يقصد منها التعريف بالمعروض فى ذلك الفلم ، فإن كان يستفاد منه تربية النشء خلقيا أو علميا ، أو كان عرضا لموقعة حربية ، أو تمثل خروجا من ضيق يقع فيه الشخص فذلك كله مطلوب كطلب العلم لذلك – وأما إذا كان فيها أحوال الجنس ، وإثارة الغرائز ، أو كان عرضها بصورة خليعة أو أوضاع شائنة كما يوجد فى الاعلانات المعلقة فى الميادين ، فذلك حرام قولا واحدا ، لأن فيها ضياع الأخلاق والحث على الفساد – وكذلك تحرم الأفلام التى تكون وسيلة لتعليم عمل الجريمة ، القتل والسرقة والخيانة ، والوصول إلى العشق والزنا ، لأنها تفتح باب الفساد بالإيحاء إلى الغافل ، وتعليم الجاهل أسباب الوصول إليها ، والحيل التى بها ينجو من الوقوع تحت دائرة العقاب – فضلا عما فيها من انحلال المجتمع ، وانصرافه إلى الضار وتركه النافع .

هذا ، وقد استثنى علماؤنا من الصور والتماثيل لعب الأطفال فهى مباحة ، لبعدها عن جميع المقاصد التى تحرم بها الصور[1] . ا . هـ .

ما يؤخذ من الأحاديث

١ – جرمة الصور المجسمة التى تشبه مخلوقات الله ، كالتماثيل المنحوتة من الجص وغيره .

٢ – الصور الفوتوغرافية التى يقصد بها التعرف بشخصية المصور كالبطاقات ونحوها وصور الحيوانات النافعة والضارة للانتفاع بخواصها لا تدخل تحت التحريم .

٣ – قد استثنى العلماء من الصور والتماثيل لعب الأطفال لبعدها عن جميع المقاصد التى من أجلها حرم التصوير .

٤ – الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا تماثيل هم الملائكة الذين ينزلون بالرحمة أما الحفظة والكتبة فإنهم لا يفارقون العبد فى جميع أحواله .

٥ – المراد بالبيت مكان الإقامة .

٦ – يستثنى من الكلاب التى نهى عن اتخاذها الكلاب المعلمة وهى التى تقتنى للصيد أو للحراسة .

٧ – حرمة الأفلام التى تصور الجرائم أو التى تظهر مفاتن المرأة .

---

(١) الأحاديث القدسية – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٤٦ – ٤٧ .

بـــاب
ما جاء فى فضل الأذان

١ – عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يعجب ربك من راعى غنم فى رأس شظية[1] الجبل يؤذن للصلاة ويصلى ، فيقول الله عز وجل : « انظروا إلى عبدى هذا يؤذن ويقيم الصلاة ، يخاف منى ، قد غفرت لعبدى فأدخلته الجنة » .

رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

فقه البـــاب

الأذان : هو الإعلام بوقت الصلاة ، والأصل فيه ما روى محمد ابن اسحق قال : حدثنى محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه قال : حدثنى أبى عبد الله بن زيد قال : « لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس يعمل ليضرب به لجمع الناس للصلاة طاف بى وأنا نائم رجلا يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت : يا عبد الله أتبيع الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت له بلى ، فقال : تقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا

---

(١) الشظية : هى القطعة تنقطع من الجبل ولم تنفصل منه .

رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال : ثم استأخر عنى غير بعيد ، ثم قال : تقول إذا أقمت الصلاة الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال : إنها رؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت ، فليؤذن به ، فإنه أندى صوتا منك ، فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ، ويؤذن به ، فسمع ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه ، فقال يا رسول الله : والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله ﷺ فلله الحمد[١] .

وقد أجمعت الأمة على أن الأذان مشروع للصلوات الخمس والحديث القدسى الذى معنا يدل على فضيلة الأذان والإقامة ، وأن الله عز وجل يجزل الثواب عليها ، ويدل لذلك ما روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يسهموا عليه لاسهموا عليه[٢] » .

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة عن أبيه أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال له : إنى أراك الغنم والبادية ، فإذا كنت فى

---

(١) رواه الأثرم وأبو داود ، وذكر الترمذى آخره بهذا الاسناد وقال هو حديث حسن صحيح .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة ، فارفع صوتك بالنداء . فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ [1] » .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – مشروعية الأذان للصلوات الخمس .

٢ – فضيلة الأذان والإقامة .

٣ – إن الشرع الإسلامى خالف بقية الأديان فى تشريعاته .

٤ – فى الأذان إعلام بتعظيم الله سبحانه وتعالى وتعظيم شعائره .

٥ – فيه دلالة على فضل الصحابة رضى الله عنهم وصدقهم فى التبليغ عن رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه مالك والبخارى والنسائى وابن ماجه وزاد ابن ماجه « ولا حجر ولا شجر إلا شهد له».

بـــاب

ما جاء فى كيفية فرض الصلاة

١ – حديث فرض الصلاة من صحيح البخارى :

حدثنا يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : كان أبو ذر – رضى الله عنه – يحدث أن رسول الله – ﷺ – قال : « فرج[١] عن سقف بيتى ، وأنا بمكة . فنزل جبريل – ﷺ – ففرج[٢] صدرى ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ، ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء : افتح ، قال : من هذا ؟ قال : جبريل قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معى محمد – ﷺ – فقال : أرسل إليه ؟ قال نعم ، فلما فتح علونا إلى السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد ، على يمينه أسودة[٣] ، وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح ، والإبن الصالح ، قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم عليه السلام ، وهذه الأسودة التى عن يمينه وشماله نسم[٤] بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التى شماله أهل

---

(١) فرج : فتح .

(٢) ففرج صدرى : شقه .

(٣) أسودة : أشخاص .

(٤) نسم : جمع نسمة أى أرواح .

:ار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، حتى
مرج بى إلى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل
ما قال الأول ، ففتح ، قال أنس : فذكر أنه وجد فى السموات آدم
وإدريس ، وموسى وعيسى ، وإبراهيم صلوات الله عليهم ، ولم يثبت
كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى
السماء السادسة[1] ، قال أنس : فلما مر جبريل والنبى - ﷺ -
بإدريس قال : مرحبا بالنبى الصالح ، والأخ الصالح ، فقلت : من
هذا ؟ قال : هذا إدريس ، ثم مررت بموسى - عليه السلام - فقال :
مرحبا بالنبى الصالح ، والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا
موسى ، ثم مررت بعيسى عيه السلام ، فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبى
الصالح ، قلت من هذا ؟ قال : هذا عيسى ، ثم مررت بابراهيم - عليه
السلام ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح ، والإبن الصالح ، قلت : من
هذا ؟ قال : هذا ابراهيم - ﷺ - قال ابن شهاب : فأخبرنى ابن
حزم[2] أن ابن عباس وأباحية الأنصارى كانا يقولان. قال النبى -
ﷺ - ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف[3] الأقلام ،
قال ابن حزم ، وأنس بن مالك : قال النبى - ﷺ - ففرض الله عز

---

(1) فى حديث أنس عن الشيخين أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وفى الثانية يحيى وعيسى ، وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هارون ، وفى السادسة موسى ، وفى السابعة إبراهيم .
(القسطلانى ١/٣٨٢)

(2) ابن حزم ، هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى قاضى المدينة وأميرها فى زمن الوليد المتوفى سنة ١٢٠ هـ .

(3) صريف الأقلام : تصويت الأقلام حالة كتابة الملائكة ما يقضيه الله تعالى مما تنسخه من اللوح المحفوظ ، أو ما شاء الله أن يكتب لما أراد الله تعالى من أمره وتدبيره .

وجل على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك ، حتى مررت بموسى عليه السلام ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك ، فان أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعت ، فوضع عنى شطرها[1] ، فرجعت إلى موسى ، قلت وضع عنى شطرها ، فقال : راجع ربك ، فان أمتك لا تطيق ، فراجعت ، فوضع شطرها ، فرجعت إليه ، فقال : ارجع إلى ربك ، فان أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته ، فقال : هي خمس ، وهى خمسون[2] ، لا يبدل القول لدى ، فرجعت إلى موسى ، فقال : راجع ربك ، فقلت : قد استحييت من ربى ، ثم انطلق بى ، حتى انتهى بى إلى سدرة[3] المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ؟ ثم أدخلت الجنة ، فاذا فيها حبائل[4] اللؤلؤ وإذا قرابها[5] المسك » .

أخرجه البخارى – كيف فرضت الصلاة فى الإسراء (١/٧٨ – ٧٩) كما أخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه .

---

(١) فى رواية مالك بن صعصعة « فوضع عنى عشرا » وفى رواية ثابت « فحط عنى خمسا » وزاد فيها أن التخفيف كان خمسا خمسا قال ابن حجر وهى زيادة معتمدة .

(٢) خمس بحسب الفعل ، وخمسون بحسب الثواب . قال تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » .

(٣) سدرة المنتهى وهى فى أعلى السموات ، وسميت بالمنتهى ، لأن علم الملائكة ينتهى إليها ، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله – ﷺ – أو ينتهى إليها أرواح الشهداء . (القسطلانى ١/٣٨٢) .

(٤) حبائل اللؤلؤ : أى عقود وقلائد من اللؤلؤ .

(٥) أى رائحته رائحة المسك .

فقه الباب

هذه الأحاديث كلها تدل على أهمية فريضة الصلاة من بين الفرائض المختلفة ولهذا اختصها الله تعالى بالفرضية فى السماء دون غيرها من العبادات ، ولا غرو فهى عماد الدين الذى لا يقوم إلا به ، قال ﷺ : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله[١] » .

كما تبين ﷺ أنها أول الأركان بعد الشهادتين كما فى حديث ابن عمر وغيره أن النبى ﷺ قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت[٢] » .

كما تبيّن ﷺ أنها الفارق بين المسلم وغيره . فعن بريدة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر[٣] » .

كما تواترت النصوص القرآنية على وجوب الصلاة ، وأنه لا يجوز التفريط فيها بحال من الأحوال . . . والمتتبع لآيات القرآن الكريم يرى

---

(١) رواه الطبرانى عن معاذ بن جبل .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح . وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال صحيح ولا تعرف له علة (الترغيب والترهيب ٢٧٨/١) .

أن الله سبحانه وتعالى يقرن الصلاة بالذكر تارة فيقول عز وجل ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر[1] ﴾ .

﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى [2] ﴾ ﴿ وأقم الصلاة لذكرى [3] ﴾ .

وتارة يقرنها بالزكاة ، فيقول عز وجل ﴿ وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة[4] ﴾ .

وتارة بالصبر فيقول عز وجل ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة[5] ﴾ .

ومرة أخرى بالنسك ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين[6] ﴾ .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – أن الصلاة من أهم أركان الإسلام .

٢ – تشديد العقوبة على تارك الصلاة .

٣ – أن الله تعالى يجزى على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ولا يجزى على السيئة إلا بمثلها وقد يتجاوز عنها .

٤ – فى الأحاديث وجوب الأخذ بالأسباب ، وأن ذلك لا يقدح

---

(١) العنكبوت (٤٥) .
(٢) الأعلى (١٤ ، ١٥) .
(٣) طه (١٤) .
(٤) البقرة (١١٠) .
(٥) البقرة (٤٥) .
(٦) الأنعام (١٦٢ – ١٦٣) .

فى التوكل على الله تعالى ، إذ أن الرســـول ﷺ قد ربط البراق الذى ركبه فى ليلة الإسراء والمعراج .

٥ – أن دين الإسلام أفضل الأديان كلها .

٦ – فى هذه الأحاديث استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والدعاء لهم ، وإن كانوا أفضل من الداعى .

٧ – فى هذه الأحاديث جواز مدح الإنسان فى وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة .

٨ – فى هذه الأحاديث دليل على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها .

٩ – فيه دليل على شدة رأفة الأنبياء بالمؤمنين ، حيث طلب سيدنا موسى عليه السلام التخفيف من الله عز وجل لأمة محمد ﷺ .

١٠ – فيها دليل عن أن المؤمن يستحب له العبادة فى الأماكن الفاضلة ، حيث صلى ﷺ فى أماكن مختلفة فى رحلته فى تلك الليلة .

بـــاب
ما جاء فى القراءة خلف الإمام

١ – حدثنى يحيى عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول : سمعت أبا هريرة – رضى الله عنه – يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج[1] ، هى خداج ، هى خداج غير تمام» قال : فقلت يا أبا هريرة إنى أحيانا أكون وراء الإمام قال : فغمز ذراعى ثم قال إقرأ بها فى نفسك يا فارس فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : « قسمت الصلاة[2] بينى وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل قال رسول الله ﷺ : اقرءوا : يقول العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله تبارك وتعالى حمدنى عبدى، ويقول العبد : (الرحمن الرحيم) يقول الله : أثنى على عبدى ، ويقول العبد (مالك يوم الدين) يقول الله : مجدنى عبدى ، ويقول العبد :(إياك نعبد وإياك نستعين) فهذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، يقول العبد : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل[3] » .

---

(١) « خداج » بكسر الخاء ، أى ناقصة ، وذكرها ثلاث مرات للتأكيد .

(٢) المراد بالصلاة : الفاتحة ، وسميت صلاة لأن الصلاة لا تصح إلا بها ، كقوله ﷺ « الحج عرفة » .

(٣) الزرقانى على موطأ مالك (١٧٥/١) .

وفى سنن النسائى ، باب تأويل قول الله عز وجل « ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » .

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن أبى بن كعب – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ :(ما أنزل الله – عز وجل – فى التوراة ، ولا فى الإنجيل ، مثل أم القرآن ، وهى السبع المثانى ، وهى مقسومة بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل) .

فقه الباب

فى هذه الأحاديث بيان أن الفاتحة التى عبر عنها بالصلاة مقسمة بين الله عز وجل وبين عبده نصفين ، فنصفها الأول تمجيد له ، وثناء عليه ، ونصفها الثانى سؤال وتذلل وتضرع وافتقار .

وفى هذه الأحاديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة ، وأنها متعينة لا يجزىء غيرها إلا لعاجز عنها ، وهذا مذهب مالك والشافعى وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين من بعدهم .

وقال أبو حنيفة رضى الله عنه وطائفة قليلة : لا تجب الفاتحة بل الواجب آية من القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم : إقرأ ما تيسر . ودليل الجمهور قوله ﷺ : « لا صلاة إلا بأم القرآن » .

فإن قالوا : المراد لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر اللفظ ، ومما يؤيده حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يجزى صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » رواه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه بإسناد صحيح ، وكذلك رواه أبو حاتم وابن حبان وأما

حديث « اقرأ ما تيسر » فمحمول على الفاتحة فإنها متيسرة ، أو على ما زاد على الفاتحة بعدها أو على من عجز عن الفاتحة .

وقوله ﷺ « لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب » فيه دليل لمذهب الشافعى رحمه الله تعالى ومن وافقه أن قراءة الفاتحة واجبة على الإمام والمأموم والمنفرد ، ومما يؤيد وجوبها على المأموم قول أبى هريرة : اقرأ بها فى نفسك فمعناه اقرأها سراً بحيث تسمع نفسك . وأما ما حمله عليه بعض المالكية وغيرهم أن المراد تدبر ذلك وتذكره ، فلا يقبل لأن القراءة لا تطلق إلا على حركة اللسان بحيث يسمع نفسه ، ولهذا اتفقوا على أن الجنب لو تدبر القرآن بقلبه من غير حركة لسانه لا يكون قارئا مرتكبا لقراءة الجنب المحرمة .

وحكى القاضى عياض عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وربيعة محمد بن أبى صفرة من أصحاب مالك أنه لا يجب قراءة أصلا ، وهى رواية شاذة عن مالك .

وقال الثورى والأزاعى وأبو حنيفة رضى الله عنهم : لا تجب القراءة فى الركعتين الأخيرتين بل هو بالخيار إن شاء قرأ وإن شاء سبح ، وإن شاء سكت والصحيح الذى عليه جمهور العلماء من السلف والخلف وجوب الفاتحة فى كل ركعة لقوله ﷺ للأعرابى: ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها .

قوله سبحانه وتعالى « قسمت الصلاة بين وبين عبدى نصفين » الحديث : قال العلماء : المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها كقوله ﷺ : الحج عرفة . ففيه دليل على وجوبها بعينها فى

الصلاة ، قال العلماء : والمراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض إليه والنصف الثانى سؤال وطلب وتضرع وافتقار .

واحتج القائلون بأن البسملة ليست من الفاتحة بهذا الحديث وهو من أوضح ما احتجوا به قالوا : لأنها سبع آيات بالإجماع . فثلاث فى أولها ثناء أولها الحمد لله ، وثلاث دعاء أولها اهدنا الصراط المستقيم . والسابعة متوسطة وهى إياك نعبد وإياك نستعين . قالوا : ولأنه سبحانه وتعالى قال : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) فلم يذكر البسملة ، ولو كانت منها لذكرها .

وأجاب أصحابنا وغيرهم ممن يقول إن البسملة آية من الفاتحة بأجوبة :

أحدها : أن التنصيف عائد إلى جملة الصلاة لا إلى الفاتحة ، هذا حقيقة اللفظ .

والثانى : أن التنصيف عائد إلى ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة .

والثالث : معناه فإذا انتهى العبد فى قراءته إلى الحمد لله رب العالمين . قال العلماء : وقوله تعالى حمدنى عبدى وأثنى على ومجدنى ، إنما قاله لأن التحميد : الثناء بجميل الفعال ، والتمجيد الثناء بصفات الجلال – ويقال : أثنى عليه فى ذلك كله ولهذا جاء جوابا للرحمن الرحيم ، لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية والفعلية ، وقوله : وربما

قال : فوض إلى عبدى ، وجه مطابقة هذا لقوله (مالك يوم الدين) أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم وبجزاء العباد وحسابهم ، والدين والحساب ، وقيل : الجزاء ، ولا دعوى لأحد ذلك اليوم ولا مجاز وأما فى الدنيا فلبعض العباد ملك مجاز ، ويدعى بعضهم دعوى باطلة وهذا كله ينقطع فى ذلك اليوم .

وإلا فالله سبحانه وتعالى هو المالك والملك على الحقيقة للدارين وما فيهما ومن فيهما ، وكل من سواه مربوب له عبد مسخر ، ثم فى هذا الاعتراف من التعظيم والتمجيد وتفويض الأمر لا يخفى . وقوله تعالى : فإذا قال العبد (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة فهذا لعبدى .

هكذا فى صحيح مسلم ، وفى غيره فهؤلاء لعبدى ، وفى هذه الرواية دليل على أن اهدنا وما بعده إلى آخر السورة ثلاث آيات لا آيتان . وفى المسألة خلاف مبنى على أن البسملة من الفاتحة أم لا فذهبنا ومذهب الأكثرين أنها من الفاتحة وأنها آية ، واهدنا وما بعده آيتان ، ومذهب مالك وغيره ممن يقول أنها ليست من الفاتحة يقول : اهدنا وما بعده ثلاث آيات ، وللأكثرين أن يقولوا قوله هؤلاء المراد به الكلمات لا الآيات بدليل رواية مسلم فهذا لعبدى ، وهذا أحسن من الجواب بأن الجمع محمول على الإثنين لأن هذا مجاز عند الأكثرين فيحتاج إلى دليل على صرفه من الحقيقة إلى المجاز . والله أعلم .

وقول أبى هريرة رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ قال : لا صلاة إلا بقراءة . قال أبو هريرة . فما أعلن رسول الله ﷺ أعلناه لكم ما أخفاه أخفيناه لكم » .

معناه ما جهر فيه بالقراءة جهرنا به ، وما أسر أسررنا به . وقد أجمعت الأمة على الجهر بالقراءة فى ركعتى الصبح والجمعة والأوليين من المغرب والعشاء وعلى الإسرار فى الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخريين من العشاء ، واختلفوا فى العيد والاستسقاء ، ومذهبنا الجهر فيهما أما فى نوافل الليل ، فقيل : يجهر فيها ، وقيل بين الجهر والإسرار . ونوافل النهار يسر بها ، والكسوف يسر بها نهارا ويجهر ليلا ، والجنازة يسر بها ليلا ونهاراً ، وقيل يجهر ليلا . ولو فاته صلاة ليلة كالعشاء فقضاها فى ليلة أخرى جهر ، وإن قضاها نهاراً فوجهان : الأصح يسر ، والثانى يجهر ، وإن فاتته نهارية كالظهر فقضاها نهاراً أسر ، وإن قضاها ليلا فوجهان : الأصح يجهر ، والثانى يسر .

وحيث قلنا يجهر أو يسر فهو سنة فلو تركه صحت صلاته ولا يسجد للسهو عندنا . ا هـ[1] .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – وجوب قراءة الفاتحة فى الصلاة ولا يجزى عنها غيرها إلا لعاجز عنها .

٢ – أن الصلاة مناجاة بين العبد وربه .

٣ – فيها دليل لمن يقول : إن البسملة ليست بآية من الفاتحة .

٤ – فى هذه الأحاديث دليل على وجوب القراءة على المأموم .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٢/٢٨ – ٣٠) .

بـــاب

ما جاء فى أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة

١ – أخرج النسائى فى سننه (باب المحاسبة عن الصلاة) فقال : عن همام عن قتادة ، عن الحسن ، عن حريث بن قبيصة ، قال قدمت المدينة ، قال : قلت : اللهم يسر لى جليساً صالحاً ، فجلست إلى أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : فقلت : إنى دعوت الله – عز وجل – أن ييسر لى جليساً صالحاً ، فحدثنى بحديث سمعته من رسول الله – ﷺ – لعل الله أن ينفعنى به ، قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « إن أول ما يحاسب به العبد صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، قال همام : لا أدرى هذا من كلام قتادة ، أو من الرواية ؟ فإن انتقص من فريضة شىء ، قال : انظروا ، هل لعبدى من تطوع ؟ فيكمل ما نقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على نحو ذلك » .

أخرجه النسائى فى سننه (باب المحاسبة على الصلاة ٢٣٢/١) .

٢ – وأخرجه عن أبى هريرة أيضا ، أن النبى – ﷺ – قال : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته . فإن وجدت تامة ، كتبت تامة ، وإن كان انتقص منها شىء قال : انظروا . هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضة من تطوعه ، ثم سائر الأعمال تجرى على حسب ذلك » .

فقه الباب

الصلاة هى الركن الثلاثى للإسلام بعد الشهادتين ، فهى عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، ومن هنا جاء الأمر بالمحافظة عليها فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة قال الله تعالى : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين[1] ﴾ . روى الحاكم فى الكنى عن ابن عمر مرفوعا : « أول ما افترض الله تعالى على أمتى الصلوات الخمس وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس وأول ما يسألون عنه الصلوات الخمس فمن كان ضيع شيئا يقول الله انظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صلاة تتمون بها ما نقص من الفريضة وانظروا من صيام عبدى شهر رمضان فإن كان ضيع شيئا منه فانظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صيام تتمون بها ما نقص من الصيام وانظروا فى زكاة عبدى فإن كان ضيع شيئا منها فانظروا هل تجدون نافلة من صدقة تتمون بها ما نقص من الزكاة ، فيؤخذ ذلك على فرائض الله وذلك برحمة الله وعدله ، فإذا وجد فضل فى ميزانه وقيل له ادخل الجنة مسروراً ، وإن لم يوجد له شىء أمرت به الزبانية فأخذوا بيديه ورجليه ثم قذف به فى النار » قال ابن عبد البر : « ومعنى ذلك عندى فيمن سها عن فريضة أو نسيها أما تاركها عمدا فلا يكمل له من تطوع لأنه من الكبائر لا يكفرها إلا الإتيان بها وهى توبته » .

---

(١) البقرة (٢٣٨) .

ولما كان للصلاة هذه المكانة كان أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة ، فإن قبلت منه ، بأن كانت مستوفية الشروط والأركان ، مؤداة فى أوقاتها المحددة لها شرعاً نظر فيما بقى من أعماله ، وإن لم تقبل منه لم ينظر فى شىء من عمله كما جاء فى حديث موقوف على الإمام مالك رضى الله عنه فى الموطأ وهذا ليس باجتهاد ، بل ولابد وأن يكون توقيفيا عن رسول الله ﷺ[1] .

ويؤيد ذلك ما روى مرفوعا من وجوه متعددة « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة . . . » إلى آخر هذه الروايات التى تقدم بعضها .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – أن الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين .

٢ – الحث على المحافظة على الصلاة وإتمام أركانها وعدم تضييعها .

٣ – أن الصلاة هى الصلة الروحية بين العبد وربه .

٤ – أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة .

٥ – الحث على المواظبة على النوافل ، وأنها تكمل ما ينقص من صلاة الفريضة .

---

(١) انظر الزرقانى على موطأ الإمام مالك (٣٦٥/١) .

بـــاب

ما جاء فى فضل الصيام

١ – أخـرج البخارى فى صحيحه (كتاب الصوم ٣/٢٤) .

حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « الصيام جنة ، فلا يرفث ، ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله ، أو شاتمه ، فليقـل : إنى صائم مرتين ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى ، الصيام لى ، وأنا أجزى به ، والحسنة بعشر أمثالها » .

٢ – كما روى البخارى فى كتاب اللباس (٧/١٦٤) .

حدثنى عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام ، أخبرنا معمر عن الزهرى ، عن ابن المسيب ، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال : «كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى ، وأنا أجزى به ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

وقد أخرجه الإمام : مسلم ، ومالك ، والترمذى ، وابن ماجه وغيرهم .

فقه الباب

الصيام تشريع حكيم دعت إليه الشرائع السابقة والعقول السليمة . وقد قصد به الإسلام الإمساك عن الشهوات ليستر صاحبه يوم القيامة من النار التى حفت بالشهوات . ولكى يؤدى هذا الغرض المقصود منه يجب أن يخلو من الفحش فى القول والسفه فى الفعل ليتوافق ظاهر المرء وباطنه فيكون إمساكا على جميع ما نهى الله عنه لا عن بعض ما حرم الله .

فليس الصيام عن الأكل والشرب فقط ، إنما الصيام الحقيقى عن اللغو والرفث فان اعتدى على الصائم وسبه إنسان أو دافعه فينبغى ألا يقابله بالمثل ، بل يزجر نفسه والمعتدى بقوله « إنى صائم » فلا أدنس صيامى ، ويقسم الرسول بربه الذى بيده الأرواح أن رائحة الفم المتغير من أثر الصيام أزكى عند الله من ريح المسك ، ويقول تعالى « الصيام لى » فلا حظ للصائم إلا الخضوع لأمرى يترك طعامه وشرابه وشهواته ابتغاء وجهى ، أنا الذى سأجزيه ، سأجزيه جزاء لا يشبه جزاء الأعمال الأخرى ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، ولكنه جزاء غير معين لأنه صابر و (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب[1]) .

وقد اختلف العلماء فى معنى قوله ﷺ : قال تعالى : «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به » مع كون جميع الطاعات لله تعالى .

---

(١) المنهل الحديث (١٧٤/٢ - ١٧٥) .

فقيل : سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به ، فلم يعظم الكفار فى عصر من العصور معبوداً لهم بالصيام ، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك ، وقيل : لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه ، بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة ، وقيل : لأنه ليس للصائم نفسه فيه حظ ، قال الخطابى ، قال وقيل : إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى ، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء ، وقيل : معناه أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته وغير ذلك من العبادات ، أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ، وقيل : هى إضافة تشريف ، كقوله تعالى : (ناقة الله[1]) مع أن العالم كله لله تعالى[2] .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – أن الصيام من أعظم العبادات وأجل أركان الإسلام .

٢ – أن ثواب الأعمال الصالحة معلوم – الحسنة بعشر أمثالها – إلا الصيام فان ثوابه غير معلوم فكل يجازى على حسب نيته .

٣ – الحث على التخلق بالأخلاق الكريمة ومقابلة الإساءة بالإحسان .

٤ – أن خلوف أفواه الصائمين حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك رضا منه سبحانه وتعالى على حسن أعمالهم .

---

(١) من الآية رقم ١٣ من سورة الشمس .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٣٠٦/٣) .

بـــاب

ما جاء فى فضل الإنفاق

١ – أخرج البخارى فى صحيحه :

حدثنا اسماعيل ، قال : حدثنى مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « قال الله : انفق يا ابن آدم ، أنفق عليك » .

أخرجه البخارى فى كتاب النفقات ، وفضل النفقة (٧٢/٧) .

٢ – وفى رواية للبخارى :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : قال الله – عز وجل – : انفق أنفق عليك ، وقال : يد الله ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض ، فانه لم يغض ما فى يده ، وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان » .

أخرجه البخارى فى كتاب التفسير (١٦٩/٧) .

٣ – وفى صحيح مسلم :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – يبلغ به النبى – ﷺ – قال : قال الله – تبارك وتعالى – : « يا ابن آدم ، انفق أنفق عليك »

وقال : « يمين الله ملأى سحاء ، لا يغيضها شيء الليل والنهار » .
أخرجه مسلم فى صحيحه (٣٥٩/٤) .

٤ – عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن رسول الله – ﷺ عن الله عز وجل أنه قال :

« إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه بملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نوراً ، وفى الجهالة حلماً ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » .

رواه البزار عن ابن عباس .

فقه الباب

ان نظام الكون يقتضى التعاون على البر والتقوى ، فلابد لضمان السعادة بين أبنائه من أن يعطف القوى على الضعيف ، وأن يرفق المكثر بالمقل ، ما دامت طبيعة المجتمع البشرى أن تتجاور فيه القوة والضعف ، والإكثار . والإقلال ، ولو كان المال فى وفرته وندرته يتبع ما أوتى الناس من مواهب معنوية لا كتنز البعض الكثير ، وعاش البعض على الكفاف ، فتلك سنن الخليقة التى لا افتعال فيها ، وإنما يتسرب الشقاء إلى الناس عندما يحيون متقاطعين ، لا يعرفون إلا أنفسهم ومطالبهم فحسب ، مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم ببعض وجعل

اختلاطهم على اختلاف أحوالهم اختباراً عويصا ، يمحص الإيمان ويوزع به الفضل

﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا[1] ﴾ .

ولن تنجح أمة فى هذا المضمار إلا إذا وثقت الصلات بين أبنائها ، فلم تبق محروما يقاسى ويلات الفقر ، ولم تبق غنيا يحتكر مباهج الغنى .

وفى الإسلام شرائع محكمة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة ، ومن بينها تنشئة النفوس على فعل الخير ، وإسداء العون وصنائع المعروف ، ونتائج هذه التنشئة السمحة لا يسعد بها الضعفاء وحدهم ، بل يرتد أمانها واطمئنانها إلى الباذلين أنفسهم ! فيقيهم زلازل الأحقاد ، وعواقب الأثرة العمياء .

قال تعالى : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء[2] ﴾ .

إن الفقر معرة إذا ألصقت بالإنسان أحرجته ، وهبطت به دون المكانة التى كتب الله للبشر ، وإنها لتوشك أن تحرمه الكرامة التى فضل الله بها الإنسان على سائر الخلق ، وإنه لعزيز على النفس أن ترى شخصا مشقوق الثياب ، تكاد فتوقه تكشف سوءته ، أو حافى الأقدام أبلى أديم الأرض كعوبه وأصابعه ، أو جوعان يمد عينيه إلى شتى الأطعمة ثم يرده الحرمان وهو حسير ، والذين يرون هذه الصور الفاحشة ثم لا يكترثون بها

---

(١) سورة الفرقان (٢٠) .

(٢) سورة محمد (٣٨) .

ليسوا بشرا ، وليسوا مؤمنين ، فبين البشر عامة رحم يجب أن توصل ، وألا تمزقها الفاقة .

والإنسان بطبعه مجبول على حب المال ، وللحرص على اقتنائه يضرب فى مناكب الأرض ، وللأثرة فى نفسه إيحاء شديد أكثر تفكيره فى نفسه وأقله فى الآخرين . ولو أنه أوتى ما فى الأرض جميعا بل لو أنه امتلك خزائن الرحمة العليا ، لما طوعت له نفسه أن تنفق منها بسعة ، ولقامت له من طبيعته الضيقة على علل شتى تضع فى يديه الأغلال .

﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق ، وكان الإنسان قتوراً[1] ﴾ .

وقد عد الإسلام هذا الشعور من النزعات الخسيسة التى يجب أن تخاصم بعنف ، وأن تقاوم وسائلها بيقظة ونشاط ، وبين أن الفوز بخيرى الدنيا والآخرة لا يحرزه إلا من نجح فى قمع دوافع البخل فى نفسه ، حتى عودها الكرم والسخاء .

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[2] ﴾ .

ولما كان شأن الإنسان ما تقدم تكفل الله عز وجل بالإخلاف عليه أكثر مما أنفق ، حتى لا يضن ولا يبخل . قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا[3] » .

---

(١) الإسراء (١٠٠) .

(٢) التغابن (١٦) .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – فضل الإنفاق فى سبيل الله تعالى .

٢ – أن الله تعالى يجازى كل إنسان على قدر عمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

٣ – الحث على التراحم والأخذ بيد الفقير والمحتاج .

بـــاب
ما جاء فى فضل الحج

روى ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت جالسا مع النبى ﷺ فى مسجد منى فأتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك ، فقال : إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه ، فعلت ، وإن شئتما أن أمسك وتسألانى فعلت ؟ فقالا : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقفى للأنصارى : سل ، فقال : أخبرنى يا رسول الله ، فقال : جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ، ومالك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه ، وعن رميك الجمار ومالك فيه ، وعن نحرك ومالك فيه مع الإفاضة ، فقال : والذى بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . قال : فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم[1] البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا[2] ، ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن الله يهبط[3] إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول : عبادى جاءونى شعثا[4] من كل

---

(١) تقصد .

(٢) خطواتها لك حسنات ، وذهاب سيئات .

(٣) تنزل رحمته .

(٤) شعورهم متفرقة متلبدة عليهم علائم الزهد والورع ، ولم يحلقوا شعورهم .

فج[1] عميق يرجون جنتى ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ، ولمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك ، فانك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيم تستقبل فقد غفر لك ما مضى[2] .

فقه الباب

إن الله جلت عظمته يخاطب ملائكته فى يوم الحج الأكبر ويقول لهم : انظروا زوار وحجاج بيتى – مكة – كيف جاءونى من بلاد بعيدة وأقطار مختلفة وسفر شاق حال كون السفر جعل رأس كل واحد منهم مغبراً أشعث من كثرة التراب والرمال وتغير لونهم بسبب ذلك ، ولا شك أن هذا المدح لمن كان فى حجه مخلصاً فإن الله جل ذكره سيغمرهم بالعطايا ويكرمهم ويبدل تعبهم راحة ، والحديث عام يشمل من قصد بيت الله جل ذكره لأداء فريضة الحج أو للطواف والسعى فى غير أيام الحج ، والحج فرض واجب من أركان الإسلام يتحتم على البالغ المستطيع ..

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين[3] ﴾ .

---

(1) طريق واسع .

(2) رواه الطبرانى فى الكبير والبزار واللفظ له .

(3) آل عمران (97) .

وقال تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج[1] ﴾ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه[2] » .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم[3] » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يباهى بأهل العرفات ملائكة السماء فيقول : انظروا إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثا غبرا[4] » .

فالحج فريضة من أعظم فرائض الإسلام ، يتحقق بها للمسلم وللجماعة منافع كثيرة ، من المعاينة المثيرة لوِجْدَانِ المؤمنين حين يواجهون بيت الله الحرام ، أو حين يزورون قبر الرسول ﷺ ، والوقوف فى الأماكن التى أقام فيها الرسول ﷺ يجاهد فى سبيل الله وإعلاء كلمته .

ومنها أن المؤمن يقضى فترة طويلة لا هم له إلا الذكر والتلبية ، والتجرد من شواغل الحياة الدنيا .

ومن أهم هذه المنافع التى يحرص عليها المسلم فى هذه الرحلة المباركة

---

(١) البقرة (١٩٧) .

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى إلا أنه قال : « غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(٣) رواه البزار ورواته ثقات .

(٤) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطها .

هي خروجه من ذنوبه وآثامه التي ارتكبها طيلة حياته ، فإنه يرجع وقد غفر الله له كل ما تقدم من ذنوبه كما قال ﷺ : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه [1] » .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – فضيلة فريضة الحج وأنها ركن من أركان الإسلام .

٢ – الحج المبرور جزاؤه الجنة .

٣ – أن الحج يكفر الذنوب ويغفر الخطايا .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

بـــاب

ما جاء فى فضل الرحمة بالضعفاء

١ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « إن الله – عز وجل – يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى ، قال : يارب وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟

يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمنى ، قال : يا رب ، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ يا ابن آدم استسقيتك ، فلم تسقنى ، قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ؟ » .

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه – باب – (فضل عيادة المريض) من كتاب البر والصلة والأدب – جـ ٩ ص ٤٦٣ هامش القسطلانى .

فقه الباب

فى هذا الحديث الشريف حث على الرحمة بالضعفاء ، كالمرضى والفقراء ، وذوى الحاجة بوجه عام ، فإن الحديث إنما يذكر ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ، فالمبدأ العام للشريعة الإسلامية هو

مبدأ الرحمة ، والتعاون على البر والتقوى ، والأخذ بيد الضعيف وإغاثة الملهوف ، وفى ذلك يقول ﷺ : « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » .

ويقول صلى الله عليه وسلم « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

فالرحمة تحمل صاحبها على أن يتألم لآلام الناس ، ويبكى لبكائهم ، فإذا رأى فقيرا أحس بآلام فقره ، وأثقال بؤسه ، وإذا رأى مكربا تأثر بوطأة نكبته وإذا بكى أمامه باك حزين تجاوبت بالبكاء والحزن أرجاء نفسه .

والمروءة تحمل صاحبها على أن يخفف الويلات ، ويمسح العبرات ، ويدفع الأحزان ، ويحنو على الضعفاء والمنكوبين ، كما تحنو الأم الرءوم على أبنائها المستضعفين .

والشهامة تأبى على صاحبها أن يعكف على لذاته ومسراته ، وأن يتمتع بثروته وهناءته .

وقد علم أن بجانبه منكوبا أصابته الأيام ، أو جائعا حرمه الجوع لذيذ المنام ، أو مريضا يتقلب على فراش الآلام ، أو يتيما يبكى أباه ، أو ثكلى فرق بينها وبين وحيدها الزمان !

وبهذه الصفات ينبغى أن يكون الفرق بين الإنسان والحيوان ، فإذا كان المرء رحيم القلب ، شهم الفؤاد ذا مروءة ونجدة ، ينبعث إلى إغاثة

الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ، وقضاء حاجة المحتاج ، فذلك هو الإنسان .

أما إذا قسا قلبه ، وخلت من المروءة والشهامة نفسه ، وعاش لنفسه فقط لا يعبأ بآلام الناس ، ولا يكترث لمصائب الناس ، ولا يشارك فى تخفيف الويلات ، فذلك وحش ضار فى صورة إنسان !

إن الرجل الذى لا تؤثر فى نفسه مناظر البؤس ، ولا ضحية من ضحايا الفقر ، لهو رجل فظ غليظ ، قد ملىء بالحجر الصلد قلبه ، وصيغت من الصلب الجامد أعصابه .

إن الرجل الذى يكون همه فى ليله ونهاره أن يحسب حساب دخله وخرجه ، ولا يحدث نفسه فى ساعة من ساعاته عما أحسن ، أو بر أو تصدق ، لهو رجل غير جدير بإنسانيته غير جدير بأن يعيش بين الناس وكأنه واحد منهم ، وإنما مكانه بين الوحوش الضاريات فى جبل أو فلاة .

إن الإنسان هو الذى يرحم ، هو الذى يحس ويتألم ، هو الذى يغيث الملهوف ، هو الذى يهدى الحيران ، هو الذى ينقذ المورط ، هو الذى ينهض العاثر ، هو الذى يحمل الكل ويحنو على الضعيف .

ولقد حث القرآن الكريم على إغاثة الملهوف ، وسد حاجة المسكين ، وتفريج كربة المكروب ، وجعل ذلك فى كثير من الآيات قرين الإيمان ، ونظير الصلاة ، وسبب الغنى واليسار ، وطريق النجاح والفلاح .

قال تعالى : ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ؟ فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين ، الذى هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون[١] ﴾ .

وقال : ﴿ فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة[٢] ﴾ .

وقال : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن ، كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين[٣] ﴾ .

وقال تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ، فى جنات يتساءلون عن المجرمين : ما سلككم فى سقر؟ قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين[٤] ﴾ .

وقال : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى[٥] ﴾ .

وقال : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر

---

(١) سورة الماعون .
(٢) البلد (١١ – ١٧) .
(٣) الفجر (١٥ – ١٨) .
(٤) المدثر (٣٨ – ٤٤) .
(٥) الليل (٥ – ١٠) .

إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[1] ﴾ .

ولقد كان الرسول ﷺ بالمؤمنين رءوفا رحيما ، يصل الرحم ، ويحمل الكل ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، ولم تكن رحمته ﷺ خاصة ببنى الإنسان ، وإنما كان يرحم الحيوان الأعجم ، ويوصى أصحابه برحمته وبلغ من أمره فى ذلك أنه كان يميل الإناء للهرة بيده الشريفة حتى ترتوى ثم يرفعه .

وروى عنه أنه قال ما معناه : أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .

وحدث أصحابه يوما فقال : « بينما رجل يمشى بطريق ، فاشتد عليه الحر فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث « يأكل » الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » .

فقالوا : يا رسول الله ، وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » .

ولقد صور لنا رسول الله ﷺ ، موقف البخلاء والمنقطعين عن مواساة الناس حين يعرضون على رب العالمين بهذه الصورة الرهيبة إذ

---

(١) الحشر (٩) .

يقول : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى » الحديث .

بمثل هذا يحث رسول الله ﷺ أمته على الشفقة والرحمة والتعاون والإيثار وإغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ؛ ولذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم مثلا عليا فى البر والرحمة والإيثار ، ومما يروى فى ذلك أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنى مجهود فأرسل النبى إلى بعض نسائه يسألها : هل عندها طعام ؟ فقالت : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى من زوجاته فقالت مثل ذلك . . حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ، فقال النبى ﷺ : من يضيفه هذه الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ! فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله ، ثم سألها : هل عندها شيء ، فقالت : لا إلا قوت صبيانى قال : فعلليهم بشيء ، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل معه ، ثم قعدوا فأكل الضيف وباتا طاويين[1] .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – الحث على رحمة الضعفاء والأخذ بأيدى المحتاجين .

٢ – أن عيادة المريض من أفضل الطاعات .

٣ – فضل الإنفاق فى سبيل الله وأن الله يخلف على من أنفق أكثر مما أنفق .

---

(١) من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت (٣٠٦ - ٣١٠) .

٤ – الدعوة إلى البر والتحذير من البخل .

٥ – التحلى بالأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة .

٦ – أن الله عز وجل فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

٧ – أن قسوة القلوب تتنافى مع الإنسانية والإسلام .

٨ – أن تفريج كربة المكروب قرينة الإيمان .

بـــاب
ما جاء فى فضل الجهاد فى سبيل الله والإخلاص فيه وفضل الشهداء

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال : « انتدب الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه إلا إيمان بى[1] وتصديق برسلى ، أن أرجعه بما نال من أجر ، أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » .

أخرجه البخارى فى : باب الجهاد من الإيمان جـ ١ ص١٦ .

٢ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه إلا جهادا فى سبيلى ، وإيمانا بى ، وتصديقا برسلى ، فهو على ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه ، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ، ما من كلم[2] يكلم فى سبيل الله تعالى ، إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم . لونه لون دم . وريحه مسك . والذى نفس محمد بيده ، لولا أن يشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية تغزو أبداً . ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم أن

(١) أي إيمان بالله عز وجل .
(٢) الكلم : الجرح .

يتخلفوا عنى . والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل » .

أخرجه الإمام مسلم فى الجهاد .

٣٠ – عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : لقينى رسول الله – ﷺ – فقال : يا جابر ، مالى أراك منكسرا ؟ قلت : يا رسول الله ، استشهد أبى ، قتل يوم أحد ، وترك عيالا ودينا ، قال : أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : ما كلم الله أحدا قط ، إلا من وراء حجاب ، وأحيا أباك ، فكلمه كفاحا[١] ، فقال : يا عبدى ، تمن على أعطك ، قال : يارب ، تحيينى ، فأقتل فيك ثانية ، قال الرب – عز وجل – إنه قد سبق منى أنهم لا يرجعون ، قال : وأنزلت هذه الآية : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا[٢] ﴾ . . . الآية .

أخرجه الترمذى – باب – سورة آل عمران .

٤ – عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، قال : سألنا – أو سألت عبد الله (أى ابن مسعود) عن هذه الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) – قال : (أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم فى جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم إطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شىء

(١) «كفاحا» اى كلمه مشافهة بدون حجاب .
(٢) آل عمران (١٦٩) .

نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ، حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) .

أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، من فضل الجهاد – والسير – باب – فى بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة . . . الخ .

فقه الباب

الإسلام دين المحبة والسلام ، فلقد ظل الرسول ﷺ فى مكة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وظل المسلمون فى هذه الفترة يسامون سوء العذاب ويصادرون فى حريتهم الدينية ، ويضطهدون فى عقيدتهم ويفتنون فى أموالهم وأنفسهم ، وكلما همت نفوسهم بالرد على الظلم ، والانتقام من الظالمين ردهم رسول الله ﷺ إلى الصبر وانتظار أمر الله تعالى ويقول لهم « لم أومر بقتال ! لم أومر بقتال » ويقول لأصحابه الضعفاء : « صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

وتسلح الرسول وصحبه بالصبر على كيد المشركين وظلوا صامدين حتى جاء الأمر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة إلى يثرب . لأنه قد ثبت أن مكة ليست تربة خصبة صالحة لأن تؤتى فيها الدعوة ثمارها .

وهاجر الرسول وصحبه وتركوا أموالهم وديارهم وأرضهم وضحوا بهذا كله فى سبيل العقيدة ومن أجل نشر الدعوة الإسلامية .

وانتشر الإسلام فى المدينة ، وقامت أول دولة للإسلام على أرض يثرب المباركة .

وامتـلأت قلوب المشركين بمكة بالحقد والحسد فظلوا يتحرشون بهذه الدولة الجديدة متمنين زوالها .

فكان لابد أن يستعد المسلمون لرد أى عدوان تحاوله قريش ومن يتابعها من مشركى مكة ، لأن الحق لابد لبقـائه وتمتع الناس به من قوة تحميه .

وجاء الوحى من السماء مبيحا للمسلمين القتال لرد العدوان ونزلت أول آيات فى شأن القتال وتحديد أهدافه فى السنة الثانية من الهجرة وهى قوله تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . . . ﴾[1] .

ولما كان فى الجهاد مشقة وتعب على النفس البشرية كان لابد أن يكون هناك حافز يدفع المسلم إلى بذل نفسه وماله فى سبيل ذلك ، ومن هنا بين الله عز وجل أن الجهاد فى سبيل الله إنما هو تجارة مع الله عز وجل ، وهى تجارة رابحة قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى

---

(١) الحج (٣٩ - ٤٠) .

سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون[1] ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم[2] ﴾ .

وإذا كان ذلك فى القرآن الكريم فلقد بينت السنة النبوية مكانة المجاهد فى سبيل الله ، والذى يذود عن حرمات المسلمين . فلقد روى أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلنى على عمل يعدل الجهاد فقال ﷺ : لا أجده[3] .

وقال ﷺ : « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم الذى لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع[4] » .

وعنه ﷺ أنه قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها . والروحة يروحها العبد فى سبيل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها[5] » .

ولقد بلغ مكانة الجهاد فى سبيل الله أن يتمنى الرسول ﷺ أن

---

(١) الصف (١٠ - ١١) .

(٢) التوبة (١١١) .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجهاد والسير .

(٤) رواه البخارى .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

لو قتل فى سبيل الله مرة بعد مرة فيقول ﷺ : « والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل[1] » .

ومن هنا كانت منزلة الشهيد منزلة كريمة يجب أن يحرص عليها كل مسلم ، لأنها انتقال من حياة فانية إلى حياة باقية ، قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين[2] ﴾ .

وكان سبب نزول هذه الآيات ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا ! وفى رواية قالوا : من يبلغ إخواننا أننا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا[3] عن الحرب فقال الله تعالى : « أنا أبلغهم عنكم » فأنزل الله هذه الآيات[4] .

ولقد أرشد النبى ﷺ أمته إلى الإخلاص فى الجهاد فى سبيل الله ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) آل عمران (١٦٩ – ١٧١) .

(٣) لا ينكلوا : أى لا يجبنوا .

(٤) رواه أحمد فى المسند (١٢٣/٤ – ١٢٤) باسناد صحيح كما ذكر محققه الشيخ أحمد شاكر .

وأن يكون هدفهم من الجهاد إنما هو إعلاء كلمة الله تعالى والدفاع عن حرمات المسلمين والقيم الأخلاقية والذود عن مقدسات المسلمين .

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانته ، فمن فى سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو سبيل الله[1] .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – أن الجهاد فى الإسلام إنما هو من أجل إعلاء كلمة الله والدفاع عن النفس لا من أجل العدوان .

٢ – فضيلة الجهاد فى سبيل الله وأنه من أفضل الأعمال التى تقرب العبد من ربه عز وجل

٣ – أن المقاتل فى سبيل الله تحت رعاية الله عز وجل إما أن يدخله الجنة وإما أن يرجعه إلى أهله بالأجر والغنيمة .

٤ – فيها حث المسلمين على بذل النفس والمال فى سبيل إعلاء كلمة الله .

٥ – ينبغى للمسلم أن يبحث عن أفضل الأعمال التى يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) خرجه البخارى .

٦ – فضل الشهادة فى سبيل الله ، وأن الشهيد يبعث على حالته وهيئته التى قبض عليها .

٧ – أن الشهيد يدفن بدمائه وثيابه التى قتل فيها ولا يغسل ولا يصلى عليه ، لأنه يبعث يوم القيامة بدمه لونه لون الدم وريحه ريح المسك .

٨ – كما يؤخذ من هذه الأحاديث أن الشهداء أحياء عند ربهم حياة حقيقية . لكن كيفية هذه الحياة لا يمكن للعقل تصورها .

بـــاب

ما جاء فى جزاء معاداة أولياء الله تعالى

١ — عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال رسول الله — ﷺ — إن الله — عز وجل — قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » .

أخرجه البخارى — جـ ٨ ص ١٠٥ — (باب التواضع) .

فقه الباب

يحذرنا المولى سبحانه وتعالى من معاداة أوليائه ، ويعلن الحرب على من فعل ذلك ، وما ذلك إلا لمكانتهم عند الله سبحانه وتعالى .

من هو الولى :

لقد بين الله سبحانه وتعالى الأولياء فى قوله تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون — الذين آمنوا وكانوا يتقون — لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة[١] ﴾ .

---

(١) يونس (٦٢ — ٦٤) .

فأولياء الله الذين يشهد لهم كتابه بالولاية هم المؤمنون الصالحون المتقون والقرآن خير ما يفسر به القرآن ، وقد ورد فى الحديث الشريف ما يفيد أن أولياء الله من خاصتهم أن تنبض نفوسهم بحب الله ، فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم عند الله تعالى يوم القيامة قيل : تخبرنا يا رسول الله من هم ، وما أعمالهم فلعلنا نحبهم ؟ .

قال : « أولئك قوم تحابو بروح من الله على غير أرحام تربطهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إنهم لعلى نور ، وإنهم نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم تلا « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » فدل هذا على أن أولياء الله هم الذين استنارت نفوسهم حتى إنهم لنور ، وإنهم لعلى نور ، وإن لهم روحانية يرتبطون فيها بالناس بهذه الروح على غير أرحام ، وغير أموال .

وفى الحديث القدسى : « أين المتحابون لجلالى ، اليوم أظلهم تحت ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » وقال عليه الصلاة والسلام : « ما تحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه » وقال عليه السلام : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » وعد منهم : « رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه[1] » .

---

(١) أحكام من القرآن والسنة (٣١٦ - ٣١٧) .

ولما بين سبحانه وتعالى أن معاداة أوليائه محاربة له أخذ بعد ذلك يصف هؤلاء الأولياء الذين يستحقون هذا التكريم وهم قسمان :

أحدهما : من تقرب إليه بأداء الفرائض . وهم الذين أشار اليهم الحديث بقوله : « وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه » فأفضل عمل يتقرب به العبد إلى ربه أداء الفرائض ، سواء أكانت فرائض دينية ، أم اجتماعية ، أم خلقية ، كالعبادات المفروضة ، والعدل ، وأداء الحقوق إلى أربابها ، وبر الوالدين ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمل لخير الأسرة وخير الإنسانية ، وصرف ما أنعم الله به على العبد من صحة ومال وعلم وجاه فيما ينفع الفرد ، وينفع الناس .

ثانيهما : من تقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض . وإلى هذا يشير بقوله فى الحديث : « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » والمراد بالنوافل التطوع من أى نوع ، كالسنن المطلوبة ، والإصلاح بين الناس ، والأخذ بيد الضعيف المحتاج ، والسماحة والإحسان ، ومشاركة الناس فى سرورهم وأحزانهم إلى غير ذلك .

ويقول الغزالى ما ملخصه : إن قرب العبد من ربه هو قربه فى الصفات ، التى هى صفات الألوهية من العلم ، والحلم ، والإحسان ، واللطف ، وإفاضة الخير ، والرحمة على الخلق ، وإرشادهم إلى الحق ، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق ، فكل ذلك يقرب إلى الله ويوصل إلى محبته ، فظهر بذلك أن من ادعى أن هناك طريقا يوصل إلى محبة الله والتقرب إليه ، وموالاته سوى معرفته وطاعته فهو كاذب فى دعواه ،

فالحب بسنة الفطرة يستلزم المعرفة ويقتضى الطاعة ، فإن المحب حريص على معرفة ما يأمر به وينهى عنه ، ليتقرب إليه بمعرفة قدره وامتثال أمره ، مع اجتناب نهيه ، وبذلك يكون أهلا لمحبته ، وكيف يجتمع الحب مع الجهل بالمحبوب وعدم العناية بأمره؟ ولقد قيل :

تعطى الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

وعلى هذا اذا رأيت شخصا يقسم على أنه ولى من أولياء الله ، وهو يرتكب المعاصى فاعلم أنه ليس من أولياء الله فى شىء ، بل إنه من أعداء الله ما دام يتحدى الله والمسلمين بهذه المعاصى .

ومن علامات حب الله للعبد : أن يضع له القبول والحب من أهل السماء وأهل الأرض يكرمونه ، وترتفع منزلته عندهم ، كما صنع مع موسى حيث جعل عدوه يحبه ، قال تعالى : « وألقيت عليك محبة منى[1] » .

وروى البخارى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل عليه السلام : إن الله أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى السماء : إن الله أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول فى أهل الأرض » .

وقد أشار الحديث إلى علامات ثلاث من علامات حب الله للعبد :

الأول ما أشار إليه بقوله : « فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع

---

(١) سورة طه .

به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » ، وفى بعض الروايات زيادة « وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به » .

الثانية : ما أشار إليه الحديث بقوله : « ولئن سألنى لأعطينه » فمن علامات حب الله للعبد أن العبد إذا سأل الله شيئاً من أمور الدنيا والآخرة أعطاه الله ما سأل ، وأجابه إلى ما طلب .

فإن قيل : إنا نرى بعض الأولياء والصالحين دعوا الله وبالغوا فى الدعاء فلم يجابوا ؟

والجواب : أن الإجابة تتنوع ، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور ، وتارة يتأخر لحكمة ، وثالثة تقع الإجابة بغير المطلوب حيث لا يكون فى المطلوب مصلحة ناجزة ، وفى الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها .

الثالثة : ما أشار إليه الحديث بقوله : « ولئن استعاذنى لأعيذنه » فمن أخص علامات حب الله للعبد ، أنه إذا طلب من الله وقايته وحمايته من الشرور والوساوس التى قد تزيفه وتضله ، ليظل فى نعمة الهداية ، ويأمن سبيل الغواية ، فإن الله يحبه ويعصمه من هذه الشرور ومن كل ما يخافه ، لأن الله وحده هو الحقيق بأن يستعاذ به . ولا يستعاذ بأحد سواه لأنه هو القادر على أن يحمى المستعيذ به من كل شر . والمستعاذ منه : النفس والهوى ، والدنيا ، والشيطان وأعوانه . وقد روى عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : « يا رسول الله أو معى شيطان ؟ قال : نعم .

قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ولكن الله أعانني عليه ، فأسلم » .

وكان من دعاء النبي ﷺ : « أعوذ بك من شر نفسي . وشر الشيطان وشركه » والإنسان يستعيذ بالله من أمور كثيرة . مثل الجهل . والفسق والمخالفات . والآفات . والمكروهات [1] .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – بيان منزلة أولياء الله تعالى .

٢ – التحذير من معاداة أولياء الله تعالى .

٣ – أولياء الله تعالى هم الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه .

٤ – الطاعة هي الأساس لمحبة الله تعالى لعباده .

٥ – المحافظة على الفرائض والنوافل من أهم العوامل التي تقرب العبد من الله عز وجل .

٦ – الحث على التحاب والتوادد .

---

(١) أحكام من القرآن السنة ص (٣٢١ – ٣٢٥) .

بـــاب
ما جاء فى جزاء المتحابين فى الله تعالى

١ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ : إن الله يقول يوم القيامة : (أين المتحابون بجلالى[1] ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى) .

أخرجه مسلم فى صحيحه من كتاب الفضائل – (باب فضل الحب فى الله تعالى جـ ٩ ص ٤٦٠ من هامش القسطلانى) .

٢ – عن أبى إدريس الخولانى ، أنه قال : دخلت مسجد دمشق ، فإذا فتى شاب براق الثنايا ، وإذا الناس معه – (وفى رواية : ومعه من الصحابة عشرون – وفى رواية : ثلاثون) إذا اختلفوا فى شىء أسندوه إليه ، وصدروا عن قوله ، فسألت عنه ، فقيل : هذا معاذ بن جبل ، فلما كان هجرت ، فوجدته سبقنى بالتهجير[2] ، ووجدته يصلى ، قال : فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إنى لأحبك لله ، فقال : آلله ؟ فقلت : الله ، فقال : آلله ؟ فقلت : الله ، فقال : آلله ؟ فقلت : الله « فأخذ بحبو[3] ردائى – (وفى رواية : بحبوتى ردائى) فجبذنى إليه ، وقال : أبشر ، فإنى سمعت

---

(١) أى بعظمتى وطاعتى لا للدنيا .

(٢) الهجير نصف النهار وقت الحر .

(٣) فى القاموس احتبى بالثوب اشتمل به ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها فالمعنى أنه أخذ بمجمع ردائى .

رسول الله – ﷺ – يقول : قال الله – تبارك وتعالى – وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتباذلين[1] فى) ا . هـ من متن الموطأ .

٣ – عن معاذ بن جبل – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : قال الله – عز وجل – (المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور ، يغبطهم[2] النبيون والشهداء) .

أخرجه الترمذى فى باب – الحب فى الله .

فقه الباب

فى هذه الأحاديث بيان لفضل منزلة المحبة فى الله تعالى ، وأنها السبب الموصل لحب الله تعالى لعبده فإنه لابد للإنسان فى هذه الحياة من صديق مخلص يبادله المحبة والوفاء ، ويفزع إليه عند الشدائد والملمات ، ويتذوق فى ظلال أخوته لذة التعاون والنصرة ، ويفضى إليه بذات نفسه ، ومكنون سره ، ويشعر إلى جانبه بالطمأنينة والأمن والرضاء والهدوء .

إذا أنعم الله على أحد من الناس بمثل هذا الصديق ، فقد هون عليه نصف أعباء الحياة ، ذلك بأن الحياة سفر طويل شاق ، ولابد فى السفر

---

(١) « المتباذلين فى » أى الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم لله تعالى أو يعاون بعضهم بعضا بالنفس والمال .

(٢) « يغبطهم النبييون . . » الغبطة . تمنى مثل ما حصل للغير ، وهذه مزية لهم لا تقتضى أفضليتهم على النبيين والشهداء فإن لهم منازل أعلى من منازلهم ومزايا كثيرة لا تتحقق لغيرهم

من رفيق مؤنس يعين عليه ، وإلا كان سفرا موحشا ثقيلا على النفس غير محتمل الأعباء والتكاليف .

ولا تدوم الصداقة ولا تثمر ثمراتها إلا إذا كانت فى الله ، الله وجهتها والله غايتها ، أما الذى يصادقك لمالك إن كنت ذا مال ، أو لجاهك إن كنت ذا جاه ، أو لعرض من أعراض الدنيا يلتمسه من وراء صداقتك فليس هذا بصديقك وإنما هو رجل يبحث عن مصلحته أنى وجدها ، ويتقلب معها كيفما تقلبت !

لذلك يعلى رسول الله ﷺ من شأن المحبة فى الله ، ويوصى كلا الصاحبين بأن يخلص فى حبه لصاحبه ، فإن أشدهما حبا وإخلاصا هو أفضلهما وأقربهما عند الله منزلة ، وقد نوه رسول الله ﷺ بهذا الشأن فى أحاديث أخرى . فجعل من علامات المؤمن أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وعد من السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، شابين تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه .

وقد كان لكل نبى أصحاب فى الله وحواريون ، شد الله بهم أزره وقوى بهم دعوته ، وأعانه على خصومه ، وأول صاحب لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ، آمن به وقد كذبه الناس ، وهاجر معه ، وفداه بنفسه وماله ، وظل وفيا له فى حياته وبعد مماته ، لم تزلزله فتنة ، ولم تفسده دنيا ، ولم يغره سلطان ، ولذلك سماه الله صاحبا ، وسجل صحبته فى كتابه العزيز حيث يقول :

﴿ إلا تنصروه ، فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ

هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا[1] ﴾ وما ظنكم باثنين الله ثالثهما ؟

هذه هى الصحبة ، وهذه هى الأخوة فى الله ، وإذا تتبعنا التاريخ وجدنا بجانب كل مصلح وكل داع إلى الخير ، إخوانا له فى الله ، لولا مؤازرتهم إياه لم ينجح ، ولولا إخلاصهم لدعوته لم تثمر !

وليس الحب فى الله كلمة تقال ويدعيها المدعون ، وإنما الحب فى الله أن يكون الله وجهتك حين تحب ، وأن يكون الله غايتك حين تستمر على هذا الحب .

ليس من الحب فى الله أن تصادق صاحبك ما دام فى نعماء وسراء ، فإذا تخلت عنه نعماؤه تخليت عنه وتركته وحده يعانى بأساءه وضراءه .

ليس من الحب فى الله أن تصادق صاحبك ما دام ذا جاه ، فإذا زال الجاه زلت عنه وفررت منه !

ليس من الحب فى الله أن تحترم صاحبك ما دام معك . فإذا غاب عنك فريت جلده ، وتناولت عرضه .

ليس من الحب فى الله أن يجتمع الصاحبان على معصية الله ، وأن يتآزرا على هتك حرمات الله !

ليس من الحب فى الله أن تدع صاحبك يرتطم فى أخطائه ، أو تغطى عنه عيوبه بحجة الرفق به ، والخوف على صداقته .

هذا هو الحب فى الله ، والحب فى الله يدوم لدوام الله ، والحب فى الله

---

(١) التوبة ٤٠ .

جميل لأنه مظهر لجمال الله ، « وما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انبت وانقطع [1] » .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – الحث على المحبة فى الله تعالى .

٢ – محبة الله تعالى هى السبب فى محبة الخلق .

٣ – ما كان لله تعالى دام واتصل .

٤ – كما أن الحب ينبغى أن يكون لله ، وكذلك البغض يكون من أجل الله .

---

(١) أحاديث الصباح للشيخ شلتوت والشيخ محمد المدنى (١٨٧ – ١٨٩) .

بـــاب

ما جاء فى رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

١ – عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن شهيب – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله – تبارك وتعالى – تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ، وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم » .

أخرجه الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – جـ ٢ ص ١٠٧ هامش القسطلانى .

٢ – عن صهيب – رضى الله عنه – قال : تلا رسول الله – ﷺ – هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) – وقال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدا ، يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل الله موازيننا ، ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب : فينظرون إليه ، فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر – يعنى إليه – ولا أقر لأعينهم .

أخرجه ابن ماجه .

فقه الباب

فى الأحاديث المتقدمة دلالة صريحة فى رؤية أصحاب الجنة لربهم عز وجل يوم القيامة ، ويؤيده آيات من القرآن الكريم كما فى قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة[1] ﴾ وقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . . .[2] ﴾ .

عن أنس رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى « وزيادة » قال : « للذين أحسنوا العمل فى الدنيا لهم الحسنى وهى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم » وهو قول أبى بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، وحزيفة وعبادة بن الصامت ، وكعب بن عجرة ، وأبى موسى ، وصهيب ، وابن عباس ، وجماعة من التابعين .

كما أن هناك أحاديث متعددة تؤيد هذا ، فمن ذلك :

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه أن ناسا قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا ، قال : « فإنكم ترونه كذلك »[3] رواه البخارى ومسلم .

٢ – وعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن فى

---

(١) القيامة (٢٢ – ٢٣) .

(٢) يونس (٢٦) .

(٣) رواه البخارى ومسلم (الترغيب والترهيب ٣/٥٥١) .

الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة آنيتها وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنات عدن[1] .

٣ – عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يتجلى ربنا عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجدا.فيقول : إرفعوا رءوسكم فليس هذا بيوم عبادة[2] .

فهذه الأحاديث وغيرها كثير تدل على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، وإن كانت بكيفية لا يعلمها إلا الله عز وجل ، فهو سبحانه ليس كمثله شيء .

وقد يبدو التعارض بين ما تقدم وقوله تعالى – فى سورة الأنعام – (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) فإن ظاهر هذه الآية يعارض ما أثبتته الآيات والأحاديث المتقدمة .

وقد أجاب العلماء عن هذا التعارض بأن نفى الرؤية إنما هو فى الدنيا ، وإثباتها فى الآخرة . فعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال : لم ير فى الدنيا ، لأنه باق ، ولا يرى الباقى بالفانى ، فإذا كان فى الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقى بالباقى ، قال القاضى عياض : وهذا كلام حسن مليح ، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) القرطبى ص ٢٤٩٢ ط الشعب .

القدرة ، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع فى حقه[1] .

وفى القرطبى : « وقيل : المعنى لا تدركه الأبصار المخلوقة فى الدنيا ، لكنه يخلق لمن يريد كرامته بصرا وإدراكا يراه به ، كمحمد عليه الصلاة والسلام ، إذ رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا ، إذ لو لم تكن جائزة لكان سؤال موسى عليه السلام مستحيلا ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل .

وقال عبد الله بن الحارث : اجتمع ابن عباس وأبى بن كعب ، فقال ابن عباس : أما نحن بنو هاشم فنقول : إن محمدا رأى ربه مرتين . ثم قال ابن عباس : أتعجبون أن الخلة تكون لإبراهيم ، والكلام لموسى والرؤيا لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين . قال : فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، ثم قال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام ، فكلم موسى ورآه محمد ﷺ .

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة رضى الله عنه : هل رأى محمد ربه ؟ فقال نعم ، وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه ، حتى انقطع نفسه — يعنى نفس الإمام أحمد — وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى وجماعة من أصحابه[2] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – جواز رؤية المولى سبحانه وتعالى فى الدنيا عقلا ووقوعها فى الآخرة لمن أراد الله له ذلك .

٢ – أن الله عز وجل يتفضل على أهل الجنة بجزيل النعم ووافر الثواب .

٣ – أنه لا تعارض بين الآيات التى تثبت الرؤيا والآيات التى تنفيها .

٤ – بيان فضيلة سيدنا محمد ﷺ عن سائر خلق الله تعالى .

٥ – الحث على العمل الصالح الذى يقرب العبد من ربه ، فالجزاء على قدر العمل .

بـــاب

ما جاء فى شفاعة النبى ﷺ للخلق يوم القيامة

١ – عن أنس – هو ابن مالك – رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ .
قال أبو عبد الله أى البخارى وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه – عن النبى ﷺ – قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم ، فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شىء ، فاشفع لنا عند ربك ، حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هناكم[1] ويذكر ذنبه ، فيستحيى ، ائتوا نوحا ، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم[2] ، فيستحيى فيقول : ائتوا خليل الرحمن ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا موسى ، عبدا كلمه الله ، وأعطاه التوراه ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر قتل النفس بغير نفس ، فيستحيى من ربه . فيقول : ائتوا عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة الله وروحه ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمدا – ﷺ – عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوننى ، فأنطلق حتى أستأذن على

---

(١) « لست هناكم » أى لست فى المنزلة التى تؤهلنى للشفاعة .

(٢) أى الذى حكاه القرآن بقوله تعالى : (رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) أى أنك وعدتنى أن تنجى أهلى وأن ابنى من أهلى ولذا قال له ربه (يا نوح إنه ليس من أهلك) .

ربى فيؤذن ، فإذا رأيت ربى وقعت ساجداً ، فيدعنى ما شاء الله ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فارفع رأسك « فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم اشفع ، فيحد لى حداً[1] ، فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه ، فإذا رأيت ربى مثله ، ثم أشفع فيحد لى حدا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة ، ثم أعود الرابعة ، فأقول : ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » .

أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ١٧/٦ – ١٨ .

قال أبو عبد الله البخارى . « إلا من حبسه القرآن » يعنى قول الله تعالى (خالدين فيها[2]) .

فقه الباب

الشفاعة فى اللغة : هى الوسيلة والطلب ، وفى الاصطلاح : هى سؤال الخير ، للغير ، وتكون من الأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين .

روى عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ثم الشهداء »[3] .

فالشفاعة العامة لىست خاصة بسيدنا رسول الله ﷺ ، بل هى لمن ورد النص عليهم كل على قدر منزلته عند الله تعالى ، أما الشفاعة العظمى ، وهى الشفاعة عند الله تعالى فى فصل القضاء من أجل جميع

---

(١) « فيحد لى حدا » أى يبين لى أقواما أشفع فيهم ، كأن يقول مثلا شفعتك فيمن أخل بالصلاة أو فيمن يؤخرها عن وقتها أو غير ذلك من الأمور العامة التى عبر عنها بقوله « فيحد لى حدا » .

(٢) أى فلا تجدى فيه الشفاعة .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٠٣/٢) .

الأمم فلم ينلها غير نبينا محمد ﷺ ، وهى التى يغبطه بها الأولون والآخرون ، وهى المقام المحمود المشار إليه بقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[1] .

قال الإمام ابن كثير : « أى افعل الذى أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاما محمودا يحمدك فيه الخلائق كلهم ، وخالقهم تبارك وتعالى[2] » .

قال أبو هريرة رضى الله عنه : سئل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، عن المقام المحمود فى الآية . فقال « هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه[3] » .

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك ، استغاثوا بآدم فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة . فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم[4] » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى

---

(١) الإسراء (٨٩) .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٥) .
(٣) أخرجه أحمد والترمذى .
(٤) أخرجه البخارى وابن جرير .

أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا[1] » .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى[2] » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعى وتدنوا منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون . فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعضهم لبعض : عليكم بآدم ، فيأتونه فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة ، اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول آدم عليه السلام : إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبل مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحا عليه السلام . فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبل مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كانت لى دعوه دعوتها على قومى ، نفسى

---

(١) أخرجه مالك والشيخان والترمذى وابن ماجه .

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذى .

نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام فيأتون إبراهيم عليه السلام .

فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات[1] فذكرها ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى عليه السلام ، فيأتون موسى عليه السلام .فيقولون : أنت رسول الله ، فضلك برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى عليه السلام .فيقولون : أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس فى المهد ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إنى ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله « ولم يذكر ذنبا » نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد ﷺ وعلى آله وسلم فيأتوننى . فيقولون : أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن

---

(١) أى فى صورة الكذب ، لكنها من قبيل التعريض ، فإن الرسل منزهون عن الكذب ، والكذبات الثلاث : هى قوله (إنى سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله فى شأن سارة (هى أختى) .

فيه ؟ فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : أمتى يا رب أمتى يا رب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال : والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر . أو كما بين مكة وبصرى[1] » .

فعلى المكلف أن يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم شافع مقبول الشفاعة وأنه أول شافع وأول من يقضى بين أمته . وأنه أول من يجوز على الصراط بأمته .

روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع[2] » .

وللنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفاعات أخرى منها إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب « ومنها » أنه يشفع فى أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها « ومنها » إخراج الموحدين من النار . ويشفع لقوم فى رفع درجاتهم ، ولمن مات بالحرمين مؤمنا ، ولمن سأل له الوسيلة بعد إجابة المؤذن ، ولعمه أبى طالب فى إخراجه من غمرات النار إلى ضحضاح يصل إلى كعبيه .

---

(١) أخرجه أحمد والشيخان والترمذى .

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود .

روى أبو سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « **لعله تنفعه شفاعتى** يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه[1] » .

وبعد : فقد دلت هذه الأحاديث على شفاعة النبى ﷺ لإخراج من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله من النار ، فهى مخصوصة بمن كان فى قلبه إيمان ، واتبع شرعه ﷺ ، ولا ينالها من جحد بشرعه ، كما دل على ذلك حديث عمه أبى طالب المتقدم ، ويدل لذلك أيضا ما روى عنه ﷺ أنه قال : « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا[2] » .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث

١ – فضل سيدنا محمد ﷺ على سائر الخلق .

٢ – ثبوت شفاعته ﷺ لأهل الكبائر .

٣ – ثبوت الشفاعة العامة للأنبياء جميعا ولبعض المقربين كالعلماء والشهداء والصالحين .

٤ – أن الشفاعة العظمى للفصل بين الخلائق فهى خاصة بسيدنا محمد ﷺ

(١) أخرجه مسلم وانظر الدين الخالص (١/١١٤ – ١٢٠ .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

٥ – كما أن فى هذه الأحاديث دلالة على هول الموقف يوم القيامة .

٦ – فى هذه الاحاديث رد على المعتزلة فى نفيهم الشفاعة لأهل الكبائر .

نسأل الله تعالى أن نكون ممن تنالهم شفاعة سيدنا محمد ﷺ ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وكلنا أمل فى الله عز وجل أن يمن علينا بالتوفيق لإتمام هذه السلسلة من « الأحاديث القدسية ومنزلتها فى التشريع » فهو خير مأمول وأكرم مسئول .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أهم المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط . المشهد الحسينى .

٣ – الأحاديث القدسية طبع المجلس الأعلى .

٤ – أحكام القرآن للجصاص ط . عبد الرحمن محمد .

٥ – أحكام من القرآن والسنة – للأستاذين عبد العظيم معانى وأحمد الغندور ط . دار المعارف .

٦ – إرشاد الفحول للشوكانى ط . الحلبى .

٧ – الاعتصام للشاطبى : إبراهيم موسى ط . مصطفى محمد .

٨ – الآيات البينات لابن قاسم العبادى .

٩ – السنة ومكانتها فى التشريع للأستاذ عباس متولى حمادة .

١٠ – الاتحافات السنية ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

١١ – الابريز لابن المبارك .

١٢ – أحكام القرآن الكريم للإمام الشافعى تحقيق الشيخ عبد الغنى عبد الخالق ط . السعادة .

١٣ – الإصابة فى تمييز الصحابة ط . الكليات الأزهرية .

١٤ – أصول الفقه للشيخ زهير ط . المطبعة المحمدية .

١٥ – أدب الأحاديث القدسية للدكتور أحمد الشرباصى .

١٦ – أحكام القرآن لابن العربى ط . عيسى الحلبى .

١٧ – الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى ط . الحلبى .

١٨ – الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ط . الإمام .

١٩ – الأحاديث النبوية والمحدثون – محمد اسماعيل ط . دار الفكر العربى .

٢٠ – الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للشيخ المناوى ط . الهند .

٢١ – أعلام النبوة للماوردى ط . مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٢ – أدب الحديث النبوى للدكتوى بكرى شيخ أمين ط . دار الشروق .

٢٣ – الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ط صبيح .

٢٤ – بحوث تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم ضياء العمرى ط . مؤسسة الرسالة بغداد .

٢٥ – تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ط . دار التراث .

٢٦ – الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ط . الحلبى .

٢٧ – تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى ط . مصر .

٢٨ – تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٩ – تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط . الشعب .

٣٠ – التفسير الكبير للفخر الرازى . المطبعة الخيرية .

٣١ – تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ط . الجيل بيروت .

٣٢ – تهذيب شرح الأسنوى للدكتور شعبان محمد اسماعيل ط . مكتبة جمهورية مصر .

٣٣ – جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٣٤ – الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ط . الشعب .

٣٥ – الجامع الصحيح للإمام البخارى ط . المطبعة الأميرية .

٣٦ – حاشية العطار على الأربعين النووية .

٣٧ – خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ط . مكتبة القاهرة .

٣٨ – دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبه .

٣٩ – الدين الخالص : للشيخ محمود خطاب السبكى .

٤٠ – الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم للشيخ أبى عبد الله السيد محمد بن الوزير ط . المطبعة السلفية .

٤١ – رسالة التوحيد للامام الشيخ محمد عبده ط . القاهرة .

٤٢ – الرسالة للإمام الشافعى بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ط . مصر .

٤٣ – زاد المعاد فى هدى خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ط . المكتبة المصرية .
٤٤ – سنن أبى داود ط . مصر – المطبعة التجارية .
٤٥ – سنن ابن ماجه ط مكتبة صبيح مصر .
٤٦ – سنن النسائى ط . المطبعة الميمنية بمصر .
٤٧ – شرح الأربعين النووية لابن حجر الهيثمى .
٤٨ – شرح الأربعين النووية للإمام النووى ط . الشمرلى .
٤٩ – شرح السنة للإمام البغوى ط . المكتب الإسلامى .
٥٠ – شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك ط . الاستقامة .
٥١ – شرح معانى الآثار للطحاوى ط . الأنوار المحمدية .
٥٢ – صحيح مسلم بشرح النووى . ط الشعب .
٥٣ – عون المعبود فى شرح سنن أبى داود ط . القاهرة .
٥٤ – علوم الحديث لابن الصلاح ط . المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
٥٥ – فتح البارى لابن حجر ط . المطبعة الأميرية .
٥٦ – الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ط . الحلبى .
٥٧ – الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ط . دار الكتب الحديثة .
٥٨ – كشف الخفاء ومزيل الإلباس للشيخ الجراحى ط . التراث الإسلامى حلب .



مطبعة نهضة مصر

